تخاريف

الحب• الوطن• المجتمع •
الحكمة

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

الكتاب : تخاريف

الكاتب : اسلام مبارك

تدقيق لغوي : جهاد النجدي

تصميم الغلاف : عماد رشدي

رقم ايداع: 22271

ترقيم دولي: 978-977-6688-00-1

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon.pub@gmail.com

تخاريف

اسلام مبارك

إهداء

إلى من قرأ كتاباً فوقع فى غرامه، إلى من يعشق القراءة فيتنفس الكلمات ويتحسس الصفحات بأنامله، إلى من لم يستطع القراءة ففقد أهم حاسة ألا وهىَّ حاسة الإبصار.

مقدمة

أيُها القاريء. رفقاً بى، لم أكن أتخيل يوماً أننى سأجلس بعد العودة من عملى الشاق، أحاول كتابة مقدمة لاولى أعمالى التى أتخيل أنها أدبية. كل تلك السنين أكتب وأمسح ماكتبته، لم أفكر يوماً فى إنهاء ما بادرت فى بدايته، لكن اليوم قررت أن أكتب أخر صفحة فى عملى ألا وهىَّ المقدمة.

-تخاريفى- مجموعة قصص قصيرة أتناول فيها بحثي عن معرفة العواطف والشعور بداخل الإنسان. أردت أن المس معنى كلمة الحب فى حياة الإنسان فقررت كتابة كفاحى الناعم، التى هى بمثابة خط وقتى لبداية تولد شعور الحب مع بداية فهم الجنس إلى الجنس الآخر إلى إنتهاء ذلك الشعور او إختفائه تدريجياً.

أردت أن أوضح كيف تُبنى القرارات المصيرية فى حياة الإنسان دون الحسابات الفلكية المعقدة التى يضعها من مروا فى ذلك النفق الفيلسوفى العميق، وكيف يراها من هم لم يدخلا النفق منتظرين على أبوابه.

-كفاحى الناعم- مجموعة حكايات لشاب يحكى عن حب عمره ويوثق رحلته العاطفية ليبنى فى النهاية قراراً هل الحب موجود ام أنه وهماً أمام المادية المتزعمة المجتمع.

بعدها تطرقت إلى الحديث عن شعور آخر ينتابنى! -علاقتى بالوطن- تلك العلاقة التى لا أفهمها حقاً، فنظرت ورسمت صورة إلى المستقبل ورجعت إلى الماضى أيضاً. هل أُحب الوطن فعلاً؟

-سحابة وطن- تخيلات وتخاريف عن قصص متعلقة بعلاقة الإنسان بالوطن فى صور مختلفة. الهزيمة، الخيانة، والفساد. كل تلك الصور السوداوية لتوضيح العلاقة وإبرازها، فالدواء مر لكنه يشفى أيضاً.

وزادت التخاريف علىَّ، أعتقد أننى فى حُمة وأهلوس فعلياً. هذا ما اشعر به حقاً عند الكتابة. وتطرقت إلى المجتمع والعادات والتقاليد كيف من الممكن أن تؤثر علينا. كيف من الممكن أن يخرط المجتمع بعادته الطريق لاناساً وينهى أحلام بدأت بريئة فانتهت بكوابيس لأصحابها.

وأنهيتها بمجموعة قصص قصيرة من الممكن أن نستنبط منها شيئاً من الحكمة فى التعاملات اليومية. هنا أرتدى الملابس البوذية وأستعصر لك عصير الحكمة من صفحات قليلة.

وأخيراً. فى نهاية الأمر تلك المجموعة القصصية هى نقد واضح إلى الحب والوطنية والعادات والتقاليد، وإلى نفسي أيضاً.

القصة الأولى

كِفاحى الناعم !!!!

١

لا أتذكر إسمها

عندما يدق القلب تبدأ الحياة في إلتقاط أنفاسها الأولى هذا هو شعورى وأنا في السنة الرابعه من المرحلة الإبتدائية عندما شعرت بخفقان القلب بمجرد رؤيتى إلى إحدى ملكات خلية النحل خاصتى.
لا أتذكر إسمها ولن أستطع وصفها حيثُ إنها أنقى شعور تم الإستحواذ عليه من عضلة القلب المختفية خلف قفص مصنوع من العظام نظراً لحساسيته ورغم ذلك أبسط الكلمات تخترقُه وأصغر النظرات تسرقُه.
بدأت أحداث قصتى الأولى عندما دخلتْ أُستاذة نشاط التدبير المنزلى فصلى تفنش بإهتمام وترسل أعينها لتمسح بهم وجوه الطلبة لتختار منهم ما يصلح ليكون واجهة المدرسة لأمر هام جداً، حتى إنها إحتارت فتشاورت مع مدرسة اللغة الأجنبية الأولى من أصلح لأمرها،
فوراً قامت المدرسة بإختيارى بناءاً على ترشيحات زميلتها وقالت إتبعنى، تبعتها وهىَّ تخترق حصون الفصول المليئة بالكتب ومصبات العلم فى أدمغة طلبة سيخرج منهم يوماً ما من يُهز تاريخ بلده محاولاً تغيير مايصعب تغييره.
تم اختيار مجموعة من الطلبة والطالبات بناءاً على ترشيحات بعض المدرسين والمدرسات، وتم القائنا فى إحدى الفصول التابعة للتدبير المنزلى حيث الفصل يتكون من منضدة كبيرة وكراسى ومطبخ عسكرى ممنوع الإقتراب منه لأنه على عهدة أستاذه، لا أتذكر إسمها أيضاً، واذ بها تلقى

علينا القنبلة لتفتك بأسئلتنا وتكشف سر تجمعنا.
-لقد تم اختياركم كفريق مسرحى يمثل المدرسة فى المسابقة الثقافية القادمة-
وقامت بتوزيع ورق المسرحية علينا، وبعدها بدقائق أرتدت نظارات القراءة خاصتها وتقمصت شخصية يوسف شاهين وبدأت فى توزيع الأدوار علينا، فكان من نصيبى دور الأب فى مسرحية تتكون من مشهدين لا يضيفا إلى حياتى الثقافية سوى إنه قد شاركت يوماً فى عمل مسرحى ووقفت على خشبة إحدى المسارح،
طلبت منا أن نأتى باكراً اليوم التالى لنبدأ بروفات المسرحية وألا نحضر الحصة الأولى يومياً حتى يوم المسابقة، بالفعل أتيتُ اليوم التالى وأنا فى صراع داخلى أريد ألا أُكمل فى مثل هذه الترهات بالنسبة إلى شخصيتى الداخلية الدفينة، التى تسكن فى داخلى حتى الآن ترفض الإشتراك والمشاركة فى كل ماهو جديد وتميل إلى العزلة وبناء حياه وهمية تحبسنى بدأخلها حتى لا احتاج الواقع واصطدم به، فيؤذيننى ويسبب جرحاً لايستطيع الزمن مداواته,
لكن رغبة الأستاذة فى عدم إختيار أحد جديد كانت أقوى من حيلى وأفكارى النيرة فى كيفية الهروب من هذه المسرحية وتمت المشاركة الفعلية فى المسرحية وابتدت قصتى الأولى مع أول بروفه.

هىَّ البطلة, ليست فى المسرحية ولكن فى هذا الفصل، وأعتقد إنها البطلة فى كامل حياتى حتى آخرها, هىَّ مصدر الحب وسر السعادة يكمن فى ضحكاتها الطفولية وخجولها المستمر، من هىَّ ؟ هذا أول سؤال وقع على خاطرى، دعوت من قلبى أن أُمثل معها ولو مشهد واحد، وكأن أبواب السماء مفتوحه لهذا الطفل الواقف يشاهد أول غازية وفاتحة لقلبه تقِف أمامه, كانت هى تُمثل دور الإبنه وأنا دور الاب, رقص قلبى طرباً وفرحاً وبدأت امُارس هواياتى المفضلة، التلعثم فى الكلام او التحدث بسرعة،
بدأت كالطاووس أحاول أُظهر كل ماهو جميل لكن دون أى إنبهار من الطرف الآخر, تمت إعادة مشاهدى تكراراً ومراراً نظراً لتلعثمى وخوفى فى قراءة المشاهد وبدأت أخاف على مكانى فى المسرحية من زهق المدرسة والتفكير فى تسريحى من الفريق المسرحى.
هنا ظهرت إحدى شخصياتى المحببه إلى قلبى، ألا وهىَّ تلك التى تتقمصها فتصبح عالم فى علوم المنطق وبدأت أُذاكر المسرحية بشغف وأُمارس الشخصية فى كل مكان وزمان، وأنا عند بائع الفول والطعمية، وأنا فى الحمام، وأنا فى فرن بلدى أنتظر دورى حتى أحصل على حصتى فى العيش, حتى شاهدتنى إحدى الطالبات خارجاً من المدرسة أُتمتم بالمسرحية فأوقفتنى واتهمتنى بالجنون حيث أننى أتحدث مع نفسى.
كل هذا لايهم، أنا مشترك بالفعل بالمسرحية، وإن كان دورى هامشى صغير لكننى سأُمثل مشهدين مع بطلة أحلامى فى تلك الفترة, كان المشهد الأول

بتفاصيله وأحداثه ناجحاً بكل المقاييس المسرحية ولكنه لم يفيدنى بشىء, لم تلتفت إلى فأنا مثل المشاركين فى باقى المسرحية، وهنا بدأت تظهر إحدى أهم عيوبى، ألا وهىَ أنا دائماً محور الموضوعات وعلى رأسها, لن أرضى يوماً أن أكون هامشياً فى أى مكان ولا زمان،

بدأت أتعصب وأفتعل المشكلات وأنقد زملائى بأنهم لايصلحون للتمثيل فى المسرحية وأنهم يخربون عملاً فنياً جليلاً، كنت كالطفل الذى يبكى عندما يشعر بأن أبويه صرفا نظرهما عن حركاته الطفولية المضحكة لهم عندما اعتادوا عليها. بدأت الطلبة تشتكى أسلوبى وبدأت أظهر لهم كمشاكس، لكن تفوقى الدراسى وأننى كنت الأول على صفى كالحصانة لى أمامهم حتى جاء التدرب على المشهد الثانى, المشهد الذى غير مجرى القصة تماماً.

المشهد الثانى أتذكره كاملاً، خلاصته أن الابنه تجلس فى حديقة منزلها تقرأ إحدى كتبها المفضلة ويأتى الاب من الخلف متسحباً ويغمض عينيها بيديه ليفاجئُها بنفسه, مشهد يتكون من اثنين فقط، أنا وهىَّ, ليس هناك من يخطف الأنظار منى هذه المرة، أنا لكِ تلك المرة لن تنظرى إلى إحدى هؤلاء المهرجين او تتحدثى مع إحدى الصديقات, حقاً إنها هجمة مرتدة لى وسأحرزها فى الدقيقة تسعين حتى لا أدع فرصة للمنافس للعودة مرة أُخرى،

لكن الحقيقة والتنفيذ أصعب بكثير من ذلك، خجلها منعنى من وضع يدي على عينيها وكسوفها أدى إلى إعادة المشهد عشرات المرات, بين كل مرة وأخرى يتم إسقاط النكات الكوميدية السخيفة التى تزيد من حدة الموقف فى اتجاهها وتصعِب علىَّ الأمر.

حاولت مرة، وأخرى، وأخرى أن أضع يدى على عينيها، لكن كل مرة تخجل وتهرب منى وسط تساقط ضحكات وهتافات الجمهور المحيط, الأمر أشبه بالقُرداتى وقرده، كلما هم بحركة يقوم القرد برد فعل يضحك الجمهور، الأمر أدى إلى استياء أستاذة هناء مع العلم أن هناء هذا ليس اسمها الحقيقى لكن حتى سطرنا ذلك لم استطع تذكر اسمها فقررت أن أنعم على مخرجة أهم مسرحية فى حياتى الفنية التى انتهت مبكراً واعطها اسم هناء, لماذا هناء ؟ لا أعلم مجرد اسماً قفز من محفظة عقلى إلى السطور. . هناء تعنى فى اللغة العربية الفرح والسرور وهنا أعطى لشخصيتى التحليلية الفرصة فى التدخل لشرح مجريات الأمور,

لقد أخترت هناء كإسم لأستاذة التدبير المنزلى لإنها كانت صاحبة الفضل فى إدخال الهناء والسرور علىِ حتى يومنا هذا، عندما أتذكرها أشعر بالفرح والسعادة بعدها يتبعه شعور الغيظ والضيق أسبابه سيتم سردها لاحقاً, نعود لمجريات أحداثنا، قامت أستاذة هناء بالتدخل أكثر من مرة ومحاولة إقناعها بأن الأمر لن يخرج من حيز التمثيل وإنه طبيعى لاننا كلنا اخوة, أنا لست اخوها يا أستاذة هناء أنا أريد أن أكون حبيبها لكن لا اعرف كيف وأنا لا اتعدى كونى طفلاً ذو التسع أعوام !!

لم نصل لحل، وكان هذا هو أطول مشهد فى المسرحية من حيث التدريب فتوصلنا إلى أحد الحلول المريحة، اننى سأمثل إننى أمثل وضع يدي من غير أن أضعها فى موضعها، وهىَّ تمثل إنها تمثل أننى أُغمِض عينيها ونكمل ذلك المشهد، لكن أستاذة هناء كانت حازمة قاطعة فى أمرها لكن فى يوم العرض سيضع يديه ويغمض العينين.

انتهى المشهد ياسادة، لكن البداية بدأت من هنا، فى لحظات كسوفها بدأت

ترانى، وفى ثنيات هروبها استلطفتنى، بدأ الأمر فى اعتذار منها على إطالة المشهد بدون سبب كون إنها خجولة، بدأ الأمر بابتسامة منى وأنى لم اتضايق منها، ولا من الإعادات المتكررة التى نقلتنى من دور كومبارس فى المسرحية إلى عدد ساعات ممارسة على المسرح لم يمارسها البطل الرئيسى فى المسرحية.
واظبت من بعدها على حضور جميع البروفات والجلوس ومشاهدتها تمثل فى المشاهد الأخرى, توطدت العلاقة مع الفريق كله وبدأت علاقتى معها تزيد وحبى ينمو كحبة نبات اللبلاب يخرج جذرها من بطنها فى اتجاه الأرض وتبدأ فى العلو والأرتقاء حتى تصل إلى أعلى نقطة مستندة على جزرها الشاقق طريقه فى قلبى الثابت مكانُه،
بدأت فى مراقبتها وأسير خلفها لأعلم أين تسكن! وازداد ارتباطنا، وكان كل مايسعدنا هو لقائنا فى البريك للعب واللهو، وسارت الأمور على مايرام حتى جاء موعد العرض المسرحى.
وضعت يدى على عينيها فى مشهدنا الجامع وشعرت براحة كبيرة, شعور غريب بدأ من أطراف أصابع قدمى الصغير حتى وصل إلى شعر رأسى، أسرعت هى بعفوية بيديها تشد يدى وتجيب على من قبل أن أتحدث - إنه انت أبى - نعم لقد نسيت أن أقول جملتى, تباً للأستاذة هناء إختارت لى أصعب جملة لاقولها - من أنا؟ - وبعدها تبدأ فى التحزير وتقول جملتها، لكنى وضعت يدى على عينيها ولم أقل جملتى،
أفاقتنى جملتها ويديها وهىَّ تبعد يدى عن عينيها فأنزلت يدى وربطت على كتفها كأنى اودعها وانسحبت من المسرحية بعد إنتهاء دوري وأنا بداخلى نار من الحزن والقلق اشتعلت بعد إنتهاء المسرحية, كيف سأراها ثانية؟ مالذى سيجمعنى بها؟ بالتأكيد سنرى بعض ولكن ليس مثل الأول،

كم تمنيت أن تطول المسرحية إلى أبعد من هذا وكم تمنيت أن يقف الوقت وأن أُسجل تلك اللحظات وأعيش فى تلك الفترة الزمنية لا أكبر ولا أصغر ولا أكِل ولا أمِل.

إنتهت المسرحية وانتهى معها العام الدراسى، وانتقلت للصف الخامس ولم أرها طيلة إجازة أخرالعام، كنت أذهب يومياً إلى منزلها متمنياً أن أراها ولو حتى وهلة, لكنى لم أرها، بدأت أعِد فى دقائق وساعات الإجازة حتى تنتهى ونعود للدراسة حتى استطيع أن اراها, حتى عادت الدراسة وأكتشفت الفاجعة الكبرى, لقد تم نقلها من المدرسة !!!

ذهبّت ولكنى أبيتْ أن اجعلها تغادر قلبى، ذهبت يومياً إلى منزلها مرة فى موعد خروج المدرسة وموعد ليلاً بعد صلاة العشاء، متمنياً أن أراها فقط ولو حتى من بعيد لكن دون جدوى, تطاول الأمر معى وبدأت أبحث عن المدارس القريبة مننا وأنتظر خارجها حتى أراها تخرج من إحداها لكن أيضاً دون جدوى, ظللت على هذا الوضع عامان ثلاثة, لكن همتى بدأت فى التناقص حتى يأسْت من رؤيتها.

تسعة عشر عاماً. . . تلك هىَّ المدة حتى الآن التى لم أرى فتاتى فيها، تسعة عشر عاماً أتمنى أن أرها ولو مرة، ياترى أين هى الآن؟ هل هىَّ أُم؟ ام قائدة؟ هل تتذكرنى؟ ولماذا لم تمت بداخلى حتى الآن؟ أسئلة عدة لم أجد إجابتها حتى يومنا هذا، فتاتى هىَّ أجمل فتاة سأظل أتذكرها وأذكُرها لابنائى على إنها مصدر الحب النقى والحجر الكريم الذي يغفر لى كل خطاياى، ماذا لو صارحتها بأننى أحِبُها ماذا سيحدث وقتها؟ أعتقد أننى كنت شعرت براحة أفضل من ذلك الشعور بالغيظ أننى لم أفعل شيئاً لأول فتاة قلبى ينبض فى اتجاهها.

-ستظلى أنتِ أولهم وأنتِ ملكتهم، لا أتذكر اسمك ولكن وجهك محفور على حجر قلبى لن يستطع الماس من قشطهُ، لقد إخترتُ أن أحتفظ به فى مواجهة عناء الحياة حتى أصل إلى مرقدى فأضعه مع ارثى، إذ أن لم نتقابل فى الحياة نتقابل بعد الحياة كأطفال مرة أخرى أهديه لكِ وأحكى لكِ عن عذابى كل تلك السنوات، أننى لم أُحافظ على حُبى لكِ-.

٢

فتاة الميكروباص

فى إحدى أيام حياتى المريضة، وبعد لفحة شمس قاسية، واقفاً منذ ما يقرب من ربع ساعة ونصف فى الموقف منتظراً ميكروباص العودة لمنزلى، متخذاً ساتراً من شمس صيفنا هذا، حتى دخل علينا المنتظر بدلع ومياصة يترنح مع نغمات أغنية إذا حذفنا منها الحديث الجانبى للمغنى مع صاحبه لا تسمع غير صوت عزال جيرانك يوم الجمعة فى حوالي الساعة الخامسة فجراً، اتخذت من أخر كرسى مقعداً متجنباً الروائح العطرية النفاذة من مشتريات أم صفاء من سوق العبور، او سمك الحاج على من حلقة السمك، او من المسألة الحسابية المعقدة فى تجميع الأجرة،

تركت دنياى هذه بعد رؤيتى لسائق ميكروباصنا، وتيقنت حينها لماذا يطلق على السائق لقب -ياهندسة- حيث مما ثُبِت علمياً أن المهندس هو من يهندس الظروف المحيطة به لحل مشكلة ما, كما هو الحال فى سائقنا هذا المدعو تيتو شاب فى العشرينات، يضع أمامه خمسة عشر مرايات لتساعده فى رؤية الجميلات خلفه، واضعاً على رأسه فازليناً متطوراً حديثاً يدعى جيل لتثبيت شعره فى وضع معين, ممسكاً بشفتاه سيجارة كليوباترا من النوع السوبر حيث ينتهى طريقنا ولا تنتهى،

بعد رؤيتى لتيتو هذا قررت وضع سماعات الأذن وسماع ما أعشقه من أغانى حتى أُقلل من العاصفة القادمة من الأغانى الشعبية التى تشعرك أنك فى قلب فرح لا فى قلب الميكروباص،

جلست بجوارى فتاة لم أدركها بجوارى إلا بعد ما أدار تيتو سيارته وأغانيه معاً, كانت علمات الضيق تنتابها من حين لآخر مِن رزالة من يسكن على جانبها الآخر، او من أغانى تيتو خادشة لحيائها، او من الفاظه عند مقابلة زملاء خطه على سبيل الدعابة ،

كانت فتاة جميلة فى أوائل العشرينات ممسكة بكتاب المحاسبة الذي وقع تحت عيناى كالورقة تحت ماكينة التصوير، اسمها هدير عبد الناصر فهمي، فرقة ثانية فى كلية التجارة، لم يقطع شعاع عينى فى بقية الفحص سوى تيتو وهو يتمايل بسيارته حتى حدث بيننا تلامساً بريئاً من جهتها نظرت إلى وهىَّ تقول- استغفر الله العظيم -اسفة- فابتسمت لها محاولاً لبدء حديث ما لم تعطنى فرصة حيث أدارت وجهها إلى الجهة المقابلة،

كم من اوجه تشابه بينى وبينها حاولت أن أجذب إنتباهها بشتى الطرق المتاحة, تارة أخرج هاتفى أحاور أحد أصدقائى عن إنجازتى المجهولة حتى أغلق صديقى هذا الخط فى وجهى، وتارة أخرج كتاب الرسم خاصتى بلا جدوى, لم أجذب لى سوى تيتو هذا يقول -الأجرة مع بعض يابشمهندسين - حيث أن أحدهم حاول الهروب من أُجرته بفتح الباب والقفز خارجاً او هرب إلى لندن مثلاً متهرباً من اجرة تيتو،

لعنت الميكروباصات بداخلى أشد اللعنات، وسرحت بخيالى ماذا لو معى سيارة فارهة وفجأة وأنا فى طريق عودتى والجو ممطراً وجدت هدير تنتظر ميكروباص تيتو الذى خرج مازنجر فجأة وأبتلعه بسيارته،

وقفت أمامها أعرض عليها توصيلة مجانية، وهىَّ منبهرة بالسيارة وبصاحب السيارة ولا تستطع الرفض لوسامتى الشديدة التى أنافس فيها طوم كروز والتى منعت براد بيت من إستكمال حياته مع انجيلينا عندما رأتنى من

قبل فى مكان ما،
وأكملت الغوص فى خيالاتى فأوجدت بحراً فى طريقنا, فركنت السيارة ونزلنا منها، فذهبت هدير تكشف من على رأسها ايشارباً إكتشفت أنه متران ونصف افترشت به أرض شاطئنا وشعرها يرقص مع نسيم هواء البحر،
جلسنا معاً منصتاً لاشعار فى وسامتى وكيف هىَّ المسكينة وقعت فى حبي بسرعة هكذا بل تطور أمرنا فاعطتنى قبلة بخدى الأيسر و. . . .
لم تكن هذه قبلة فى الحقيقة, بل كانت يد تيتو يحاول أن يوقظنى من خيالاتى، حتى تنبهت بأننا وصلنا لأخر الخط وأن الميكروباص فرغ تماماً عدا أنا وتيتو، المبتسم بابتسامات مُريبة عندما سمع أحد زملائه يقول له - حرام عليك ياتيتو معندكش اخوات بلاستيك- تركت الميكروباص مسرعاً شاعراً بكم العيون المراقبة الساخرة منى واذ فجأة شعرت أن من أعطانى القبلة . . . . . هو تيتو هذا.

٣

أسماء -الجزء الاول-

الحياة ماهى إلا خريطة مرسومة وخطة مفصلة نتبعها دون العلم بنهايتها ولا الاهتمام بإسقاطاتها ولا العودة لبداياتها، لذلك وبعد سرد تلك الحكاية أطلقت العنان لفرس الحياة فى الركض كما يحلو له دون توجيهه فهو مقدر له الركض هنا وهناك، حتى وإن هيئت لك الأمورأنك المسيطر الأول وأنك المالك الأول لقرارتك, الأمر أشبه بمسرحية وكل منا له دوران، دور رئيسى يلعبه فى حياته ويتأثر به ، ودور ثانوى يلعبه فى حياة الأخرين لا يتاثر به لكنه يؤثر فيه. .

الحكاية القادمة عن شاب صغير فى مرحلة الثانوية العامة يبدأ مسيرته الدراسية بدروس خصوصية فى جميع مواده حتى يصل إلى الهدف المنشود والجائزة الكبرى التى سرعان بعد اكتسابها تكتشف إنها سراب، وأنك أخترت طريقاً طويلاً ليس بمختصراً للنجاح وإن آخره دائماً الفشل او قمة نجاحاته هو التحول للحياة الروتينية بمسمى وظيفى يقبله المجتمع ولا يقبله الجيب.

تبدأ الحكاية من درس اللغة الأجنبية عندما حاول هذا الشاب فى اللحاق بأقوى مدرسى تلك اللغة الجبارة، لكنه إكتشف أنه تأخر على حجز مقعد معه بالرغم أنه تواصل مع مديرة أعماله قبل الدراسة بثلاثة أشهر، وهنا تبدأ الحياة فى خرط طريق آخر فيتدخل الأهل ويستشيروا أهل الخبرة عن من هو أفضل من الأفضل فى تدريس تلك المادة حتى اهتدوا إلى مدرس

لغة أجنبية معروف عنه بحسه الفكاهى ونكاته البذيئة التى يستخدمها لجذب الفتيان والفتيات فى هذا السن, فالمدرس أيضاً بارع فى علم التسويق، فالكل يحمل المادة العلمية لكن من يسطتيع جذب العدد الأكبر من أشبال الزومبى المضحوك عليهم بوهم الثانوية العامة وترياق التفوق المهنى والعلمى.

اتصلت بهذا المدرس من أقرب مركز اتصالات لى يدعى سنترال المودة حيث أن دقيقة المحمول فى وقتنا هذا بخمسون قرشاً والأغلب منا لا يحمل هاتفاً نظراً لغلائه، نعم أنا انتمى إلى جيل من كان يمتلك آله حاسبة من ماركة كاسيو فهو من أبناء الطبقة الراقية، والعودة إلى ذلك المدرس أخبرنى أنه لا يوجد أماكن شاغرة, كل المقاعد وحتى الطرقات تم حجزها من شهر ولامنى على تأخرى وتلكعى فى عدم حجز المادة وأنا فى بطن أُمى اتقلب ذات اليمين وذات اليسار،

هنا شعرت أن المستقبل ينهدم كأحجار معبد قديم تم تشييده بخليط من مياه البحر المالحة ورمل شاطئه، فألححت عليه بأن يقبلنى عنده حتى وإن كنت ساقف طيلة العام الدراسى على اقدامى، فكر برهة وتنفس الصعداء فأخبرنى بأنه هناك ساعتان يوم الثلاثاء كان ينوى أن يأخذهما كأستراحة أسبوعية، لكنه سيضحى بهما من أجل مستقبلنا ويقوم بتكوين مجموعة جديدة من المتخلفين أمثالى وبهذا يكون ضحى بوقته من أجلنا، لكن فى الحقيقة هو قام ببيع وقته لتلك السبعون متراً فى العين السخنة كشاليها لأبناءه او لتلك السيارة الفارهة لإمرأته او لتأمين مستقبله اذ ربما العام القادم ينزل ترتيبه من الثلاثة الكبار ولا يجد عليه إقبال، فى النهاية إلتحقت بمجموعة مكونة فى يوم الثلاثاء مكانها منزل فتاة تدعى أسماء.

أسماء؛ تلك الفتاة ذات الإيشاربات المزخرفة بالألوان المفرحة, اللونان الأصفر والأحمر دائماً يتراقصان فى ملابسها, حاجبيها حادين كحد السكين، فاتحة البشرة، مثمرة النهدين، متراصة الأسنان البيضاء دون تعدى إحداهن على الأخرى، دائماً مبتسمة دائماً متفوقة. . .

يقول العلماء البريطانيين أن الرجل يستطيع أن يقع فريسة فى الحب من أول نظرة لكن المرأه تحتاج إلى ست مرات حتى يبدأ ذلك الشعور يتكون بداخلها اتجاه من تحب، لقد تولد الحب لدى فى أقل من الفمتو ثانية عندما وقع نظرى عليها إنه الحب من أول وهلة إذ كانت الوهلة أسرع من النظرة.

وقعت فى حبها وجلست طيلة الدروس أتخير مقعداً مقابل لها لكى اترسم وجهها، ملامحها، جسدها، حتى صوابعها بداخلى, أسرق من الزمن ما أحاول سرقته من لحظات أحتفظها بداخلى فى صندوق الذكريات المدفون فى سفينة غارقة فى بحر الأحلام، قررت أن اكلمها أصارحها بما بداخلى، لكنى خشيت أن تصدنى فتهد معبد أحلامى فقررت أن أعيش على وهم إنها قد تكون تبادلنى نفس الشعور ولكن بيننا ذلك السور العظيم المصنوع من العادات والتقاليد.

حتى جاء يوم وقررت أن أذهب وأحدثها عما بداخلى، أخذت حبوب الشجاعة وتدربت جيداً أمام المرآه وقررت أن أحدثها وذهبت مسرعاً إلى منزلها مبكراً فدخلت قبل كل الزملاء وبدأت النار تشتعل فى بطنى والخوف يخرج من عرقى لكنى ماضٍ فى طريقى.

وصلت منزلها لكنى وجدت الأستاذ أيضاً وصل باكراً وجالس معها يراجع معها بعض الدروس القديمة، نظرت إليه فقال:

-مالذى أتى بك باكراً ؟ -
فبادرته بالسؤال
-ومالذى أتى بك انت باكراً؟ -
قال -لقد ألغيت الحصة التى تسبق هذه نظراً لدواعى اجتماعية تخص صاحب المنزل فأتيت هنا باكراً لأشرب فنجان من القهوة؟ -
ونظر إلى أسماء مكملاً حديثه ضاحكاً
- لكن أسماء استغلت إحتياجى إلى القهوة بمراجعة بعض الدروس القديمة، تعالى وأنضم لنا-
انضممت لهما وجلست أنظر لها وهما يراجعان، فسرحت فى مشهد آخر مشهد أنى وجدتها وحدها وأعترفت لها بحبها وردها لى بالإيماء برأسها كموافقة ففرحت وأرتسمت تلك الابتسامة على فمى، لكن شيطانى سرعان ما خطف ذلك المشهد وأعاد صياغته بأن إجابتها كانت بالرفض فانفطر قلبى وأنكسر ضلعى ودخلت فى عام الحزن والإكتئاب، وبدأت أشعر بألم المرارة والحسرة حتى أخرجنى من ذلك سؤال موجه من الأستاذ فى إحدى الموضوعات، نظرت إليه فلم أجبهُ مع إنى أعلم الإجابة لكنى طلبت منه طلب غريب لم يمرعلى قلبى قبل تمريره على لسانى, قلت له:
- أنا لستُ مرتاحاً فى تلك المجموعة أريد أن أنقل منها-.
لا أعلم ما الذى دفعنى لقول هذه الكلمات، أعتقد أن العقل هنا كان ككرات الدم البيضاء، عندما رايت مشهد الألم وشعرت به خشى علىَّ من الدخول فيه وقرر أن يجنبنى هذا المشهد بإلغاء قلبى برهة وأرسل رسالات عصبية إلى اللسان برسالة عاجلة أخرجها الآن، وبالفعل إستجاب لى الأستاذ وسط ذهول منها وأيضاً منه فلم أرها ذلك العام مرة أُخرى لكنها ظلت

بداخلى أسترق أخبارها من أصدقائى وأحاول أن أدفنها حتى إنتهت المرحلة الثانوية وتخرجت وألتحقتُ بالجامعة.

الحياة الجامعية. . . هىَّ بمثابة فصل الربيع، يفتح القلب أوراقه ليستقبل سهام كيوبيد، فمن الحب ما قتل ومن الحب أيضاً ما زوِج، كثيراً نجد قصص الحب الجامعية تنتهي بنهاية درامية بزواج الطرفين وهنا يتضح لنا أنه أشد قصص الحب لابد من نهاية لها حتى الزواج او الإرتباط نهاية كافية لقصص الحب، لا حب بعد الزواج لكن هو مجرد شعور متفاوت بين الزوجين يأتى على إستحياء من فترة إلى أُخرى لينعش حياتهم الروتينية، لكن العناية الإلهية تتدخل لتغرس بين الزوجين حب مشترك يعيشا من أجله وهو حب أولادهم الذى لاينتهى إلا بموت الأبوين،

هنا نجد أن الحب مرتبط بالإنسان كالتنفس لا يقدر أن يعيش بدونه، تخيل الحياة بدون حب لأكل السبع ابنه وباع الأب رضيعه وأيضاً الخالق يحب مخلوقاته فلقد ذكر الله عزو جل -أن الله يحب- ستة عشر مرة فعدد أنواع العباد الذين إصطفاهم بحبه.

ولكل قاعدة شواذ، هناك من إنتزع منهم ذلك الشعور المُقدس الذي ذكر فى كل الحضارات والأديان، فقُدِس قديماً بتمثيل إله فى الحضارة اليونانية والفرعونية له، هناك من إنتزع منه هذا الشعور فأجرم فى حق الإنسانية بجرائم بشعة لا يمكن أن يتخيل العقل البشرى أن هناك بشرى قد يمارسها ولكن فى أغلب هذه الحالات هناك محرك لها وقد يكون شعور الحب هو المحرك الأول للكراهية أيضاً.

نترك النظرة الفلسفية للحب والكره إلى علماء النفس ونعود إلى الفترة الجامعية، كأغلب الطلبة بداية الحياة الجامعية هىَّ حياة أخرى وفصل

آخر مهم فى حياة الانسان، هنا تظهر له من ثلاث إلى أربع شخصيات يتلون فيهما كالحرباء تغير لون جلدها او الثعبان ينزع جلده لينمو آخر، ذهبت إلى الجامعة فى إحدى الكليات العملية وهناك كان مايقرب فى المدرج فى أول محاضرة قرابة ألفى طالب, كل منهم بادئ عامه الدراسى ومارثونه الجامعى بأهداف محددة لايحدو منها ولكن الهدف الأول الذى لايعلو عليه هدف هو الحب،

هذا أمر طبيعى لأجيال تعيش فى كبت نفسى وعصبى وعادات وتقاليد تحيط كل جنس بالحديث عن الجنس الأخر بأسوار عالية من يتخاطها يكون شاذاً او مختلفاً عن البقية.

فى وسط كل هؤلاء الطلبة وأنا خارج من محاضرة تمهيدية وعيناى تتفقد الحشد الهائل وقع نظرى فتسمرت أعصابه وأحمرت حدفاتى حتى أصبحت عيناى كجمر من النار، إنها أسماء.

أعتقد أن القدر هو من يلعب بنا فبعد أن نازعت نفسى فى حلبة مصارعة الثيران الأسبانى الشهيرة وتمكنت من تحجيم ثورى الهائج، إذ أنه يفتح النيران علىَّ مرة أُخرى، رأيتها من بعيد فتسمرت مكانى ولم أفعل شيئاً حتى إلتقت العين بالعين وتسمرت هىَّ الأخرى، نعم تسمرت فبدأ القلب بالإرتجاف مرة أخرى والخفقان كشعور بالخوف، الخوف من ماذا؟ تباً لهذه العضلة الضعيفة التى سركائِنها هو بالتأكيد الحب فقط لاغير،

هذه المرة بدأت أتجرأ وذهبت لها وقررت التحدث لها فحددت مسارى وسمعت دقات قلبى تختلط بأثار قدمى وهىَّ تسير على حبل شوكى عصبى كل خطوة تقربنى منها بكل شرخ فى زجاج حائل بينى وبينها، سوف أكثر ذلك الحائل سوف أكسره وسأصل لما يريده قلبى، أقتربت حتى سمعت

أيضاً دقات قلبها، بدأت أرتسم تلك الابتسامة التى تدل على أنى أتذكرها وكم أنى شخص لطيف، وما أن وصلت الابتسامة إلى مجراها حتى وصلنا لمرحلة الإنفجار.

إنفجار إطار سيارة أشبه بطلقة تدوي فى سماء الجامعة وسط كل هذا الضجيج لكنها جذبت الإنتباه وكل الأبصار ذهبت إلى مصدر الصوت حتى هىَّ نظرت إلى اتجاه الصوت، وفى تلك اللحظة أيضاً حدث إنفجار غضب وحزن بداخلى وأتخذت مساراً آخر وأختفيت وسط الطلبة،

أختفيت من أمامها وهىَّ تبحث عنى وسط الحشد، لكننى قررت الإختباء مرة أخري، من ماذا أخاف؟ وماذا سأخسر بمواجهة من أحب؟

تلك الأسئلة أصابتنى فى ظهرى فلم أستطع الوقوف منتصباً، بدأ الخوف ينتشر فى عقلى ويسمم تفكيرى فبدأت تتكون شخصية هجومية عنيفة فى اتجاه من أُحبها فبدأت أنتقد تصرفاتها فى الجامعة مع إنها لم تلفت نظر أحد إلا أنا وأنا فى عالم الخوف أسبح وعالم الإختباء أتكيف،

حتى قرر القدر أنه لا سبيل من المواجهة، القدر يرتدى زى المحارب وينزل أرض المعركة لينازل خوفى ويقتل قلقى ويجلسنى بجانبها فى إحدى المحاضرات عن طريق الصدفة، ودائماً تبدأ أجمل القصص بالصدف, تلك المرة لامفر لابد من المواجهة جلست بجوارها أريد أن أتحدث لكن لا أعلم ماذا أقول ومالذى يخرج من فمى؟ لم يخرج شيئاً لكنى تلقيت اللكمة القاضية التى أوقعتنى أرضاً، ضربتنى بقولها. .

-لماذا تتهرب منى؟-

بدأت رقبتى تلتف ببطء شديد نحو مصدر اللكمة وإذ هىَّ تبتسم وتكمل ضرباتها الحادة

- فى بداية الأمر شعرت أنك خجول لكنك حتى تتهرب من مواجهتى ولولا أنى ابدلت الأماكن لما حاورتك الآن. -

لم أستطع الرد إلا بإبتسامة والنظر أمامى مباشرة حتى نهاية المحاضرة وهمت فى ضيق تلملم كتبها، كانت بالفعل تنتظر منى رداً او كلمة او حتى تبرير لماأفعله، إنها تغادر الآن وإن غادرت لن أستطيع إعادتها مرة أخرى هل تستطيع أيها القلب العيش بدونها هل تستطيع أيها الجبان أن تضغ دمك فى جسم جاف يشتاق لشربة من الحب، لا لن أتركها هذه المرة، إلتفت إليها وهىَّ تهم بالمغادرة فأمسكت يديها بحركة فجائية لا أستطيع تفسيرها إلا بعد دراسة سبع سنوات من الطب العصبى والنفسى، وسط ذهول ومفاجئة غير متوقعة منها وإذ نزل الوحى على لسانى فأطلقت كلمة مدفونه بداخلى

- أنا أحبك-.

٤

قالت لى أحِبك

قالت لى أُحبك،
تلك الكلمة التى يرتجف لرنتها العملاق ويخشع لسحرها العقلاء ويسعى لطلبها العشاق
قالت لى أحبك،
فمسحت بها تاريخ ماقبل وحرصت على وقت مابعد
قالت لى أحبك،
أعجزت لسانى عن وظيفته عندما احرجه فمى بفتح أبوابه وكشفه عارياً أمامها
قالت لى أحبك،
أشتقت لها وأنتظرتها لسنوات دون جدوى حتى تناسيتها
قالت لى أحبك،
فسمعت دقات قلبى تهزم دقات ساعتى فى وسط ساكن تسمع وقع القطرة على الثمرة فى إحدى غابات الأمازون البعيد
قالت لى أحبك،
فهرولت إلى أبيها خاطباً إياها راكعاً أمامه لإنقاذ روحى المسكينة أسيرة حبها
قالت لى أحبك،
أنظر إلى شروط أبيها التى تعدت مستوى الصعوبة طارقاً أبواب المستحيل

فى ثرموميتر جيبى المتهالك
قالت لى أحبك،
وهىَّ متمسكة بكل ماطلبه الحاج من شقة وشبكة ومهر وفرح يحضره مطرب شعبى مشهور
قالت لى أحبك،
وهىَّ تطلب منى غرفة نوم شهريار وعفش هارون الرشيد وبيت بن مروان
قالت لى أحبك،
وهىَّ متمسكة بإقامة متحفاً فى قلب مسكنا المسكين لتجمع بها تحف مزخرفة صينية وتدعوه نيشا
قالت لى أحبك
فقلت لها وأنا لا أحب المنافقين.

٥

أسماء -الجزء الثانى-

السعادة تتولد من رحم الحب، شعرت بهرمون السعادة يسرى فى جسدى بعد كل محادثة هاتف او لحظات تم اختطافها بين المحاضرات او عند عم عبده بائع الفلافل والفول قبل المحاضرات الصباحية، كنت أسترق تلك اللحظات واضعها بعيداً فى جزء من صندوقى الأسود أعيدها على ذهنى فى الليل لينتشر شعور الفرحة والسعادة بداخلى، لقد وجدت فتاتى جميلة طعمها كالحلوى، أنظر اليها عندما تتحدث فاسرح بأحلام أتمنى من الخالق أن تصبح يوماً ما حقيقة.

عام كامل من الحب الجميل، لم أتخيل يوماً ماهىَّ نهاية تلك القصة وإلى أى شاطئ ستؤل بنا مركب الحب، بالطبع بعد التخرج سأتقدم للزواج وسأرتبط بمن أحب مدى الحياة بعد ماسوف يتم ختمنا بالخاتم المقدس الأبدى، لم أتوقع أنه فى يوم ما سيشتعل أى نوع من الخلافات وحتى إن أشتعل فأنا أحبها سأتغلب على المصاعب وسأحافظ على العلاقة مادمتُ حياً.

يوماً بعد يوم يمر بيننا، وشعلة الإنبهار بها تقل حدتها، اعتادت عيناى عليها واعتاد قلبى على حبها، ثم يبدأ يتسرب من تحت باب قلبى مياه الملل ويبدأ سردابه يغرق بمياه راكدة، لقد أصبح الحب ملل لاجديد، فى بادىء الأمر كنت متحمساً وهىَّ كذلك فكان يخرج الكلام من القلب فيصل إلى القلب بدون مجاملات، فالكلام النابع عن القلب لايحتاج إلى تجميل، لكن بعد فترة إحتجت إلى التجميل فأصبحت بارعاً فيه فالأمر أشبه بوضع سكر

لتناول الشاى المر.
مرت الأيام ومرعام وبدأت المشكلات تتوالد على ما لايذكر من الأحداث، بدأت أشعر بالملل وبدأت هىَّ تشعر بعدم الاهتمام، فنحن معشر الرجال عندما نمتلك شيئاً لا نهتم به فهو بالفعل فى قبضتنا، وبدأ قطبى المغناطيس فى التنافر بعد قلبهما من حالة التجاذب وبدأت تخف المحادثات من يومياً إلى يوم بعد يوم، أسبوعياً حتى كادت تختفي ونكتفي بالمقابلة فى المحاضرات، حتى تلك بدأت تجف أوراقها فلا أحضر إلا محاضرات التى يوثق على حضورها درجات.
أعتقد إنها هنا تكمن النهاية، الأمر أشبه بأكل قطعة من الحلوى فى بادئ الأمر تشتهى شرائها وتستمتع مع أول قضمة لها، ثم تأكلها مع إنخفاض حدة الإستمتاع وبدأ الشعور بآلام الضروس والأسنان فتنفر منها، لكنك بعد فترة تشتهيها مرة أخرى.
هل انفصلنا؟ لا، لم ننفصل فالقدر هو من يرسم ونحن من نسير فى كل مرحلة هبوط فى منحنى الحب يشعله القدر بفتيل من الديناميت فيرفع المنحنى إلى فوق مرة أخرى، ضارباً كل توقعات المغامرين فى البورصة، وهنا تكمن السعادة الحقيقية فى الحب وهىَّ تلك اللحظة، فلذلك أعتقد أن مبرر نزول ذلك المنحنى هو ذلك الشعور الذي يتولد عند صعوده إلى قمته مره أخرى.
واصل الحب مسيرته حتى جاء أخر يوم فى الجامعة وتخرجنا فأنتهت أجمل مرحلة فى العمر وبدأت مرحلة المسؤلية، فهناك تجنيد يقف على باب مستقبلى لمدة عام كامل، وهناك شخصية أتقمصها وهىَّ الباحث فى أدغال السوق عن وظيفة أستطيع أن أصب بها فى بوتقة الحياة مستقبلى،

فجلسنا بعد التخرج وأقسمَت إنها ستنتظرنى حتى ولو بعد دهر من الزمن، فشعرت بحبها ينمو بداخلى من طفل يلهو إلى رجل يحارب فى معركة شرسة من أجل البقاء.

مرَّ أربع أعوام منذُ أن أعترفنا بحبنا كل منا إلى الأخر، وبدأ العام الخامس يدخل فى ثياب عسكرية أرتديها وفى فستانين مقابلات زواج رسمية هىَّ ترتديها، كل منا يحارب فى مجال مختلف، أنا أحارب الزمن لتنقضى مدة خدمتى العسكرية وهىَّ تحارب مجتمع يطلب منها الزواج قبل إكتمال ربع قرن من ولادتها حتى لا تدخل فى إحدى سراديب العنوسة.

نتقابل فى كل إجازة شهرية، تخبرنى كل مرة فيها عن رفضها لإحدى العرسان بأسباب وهمية مضحكة، فكأنها تحكى حكايات لترفيهى لكنها تطعن بداخلى آلات حادة تسمى قلة الحيلة، ماذا أنا بفاعل لها؟ ماذا لو جاء عريساً لم تجد فيه أى مبرر او عيب؟ ماذا لو ضغط أهلها فى إحدى المرات فانصاغت إلى أوامرهم وضاعت منى.

وكأنك تحضرعفريتاً فى عقلك فيتبخر ترابه إلى أرض واقعنا فيتجسد أمامك، ففى إحدى الأيام العسكرية وأنا أسترق أربع ساعات من النوم بين الخدمة الأولى والثانية، جائنى هاتف منها، تخبرنى أن هناك عريساً تقدم لخطبتها وإنها حاولت بكل الطرق رفضه لكن تلك المرة الطوفان أعلى من برجها فأغرقها تماماً.

لم أستطيع النوم تلك الليلة فلقد وعدتها بحل تلك المشكلة فى الصباح الباكر، فارتديت ملابسى العسكرية، وذهبت إلى أحد اصدقائى أجلس أفكر معه لعله يرشدنى بحل أهديه لها فى الصباح الباكر، أخبرنى صديقى بحل أخاف من عواقبه فقال لى تقدم بخطبتها إذا كنت تحبها، فقم بشرح ظروفك

لأهلها وهىَّ ستضغط من الجهة الأخرى وما كتبه الله سيكون.
كيف أتقدم وأنا راتبى الشهرى يبلغ ثُمن مصاريفى الشهرية!!! ماذا أخبر والداها وأنا بعد إنتهاء فترة التجنيد سأُلقى إلى الحياة كعروسة النيل فى احتفالات كبرى وفاءاً له!!
هل أتراجع وأتركها لعريسها القادم، ربما يكون هو ذلك نصيبها المكتوب، هل يقتل وزيرى فى رقعة الشطرنج من أول حركة لى؟
جاء الصباح الباكر، فكنت حاضراً طابور الصباح بعدها أدخلت نفسى عمداً فى خدمة جلب التموين من كتيبة أخرى فسينسرق نصف يومى تاركاً هاتفى فى المعسكر. لقد وضعت حجة مناسبة لغيابى حتى أعطى لنفسى وقت أكثر للتفكير، لكن فى حقيقة الأمر كنت أتهرب من الحل الوحيد الذي بين يدي، إنتهى جلب التموين سريعاً تلك المرة وعدنا فى منتصف اليوم إلى مكان كتيبتى، فتفحصت هاتفى فوجدتها هاتفتنى العشرات والعشرات دون إجابة منى، فتركت لى رسالة، هممت بفتحها لكن سحقاً للهواتف، فلقد اتشح بالسواد معلناً موت بطاريته، أسرعت أوقظه بنبضات كهربائية، وجلست بجواره منتظراً إنعاش من دخل الى العناية المركزة متسائلاً ماذا بداخل الرسالة!!
توقعت الرسالة تماماً بل وأرتضيت بها حلاً، لقد حاولت مهاتفتى لتعلم حلى للموضوع فلم تجد إجابة فقررت أن توافق على العريس وأن تنهى علاقتها بالجبان المتهرب منها، واقعياً هذا حل يرضى جميع الأطراف فلا يهزم أحداً، فهىَّ ستتزوج من هو يسبقنى فى الحقبة المادية و سيموت حبنا ليتولد حب جديد وسعادة منتظرة مضمونة، وأنا بالطبع سأصاب بنوبة حزن فجاعية وسألعن كل ماهو محيط بى ووضعنى عاجزاً اما حب حياتى لا أستطيع

إنقاذه من الغرق، لكن أعتقد أن القدر سيكافئنى بعد شق طريق كفاحى باحداهن من سأقع فى حبها من جديد او سيستخدمنى القدر كمطرقة أضرب بها على قلب إحداهن فأكسره وأنهى قصة حبها كما حدث معى.
أخرجنى من خيالاتى وتفكيرى إضاءه هاتفى معلناً عودته إلى الحياة مرة أخرى، فهممت بفتح الرسالة وتحميلها، لم أكن أعلم أن الثانية تستغرق كل هذا الوقت فلقد مرت ثقيلة فأصبح إيقاف الزمن شبه حقيقة، تم بحمد الله ظهور الرسالة على هاتفى وبدأت أقرأها فى إستغراب وذهول، فبدأ فكى السفلى ينفلت عن أخيه فيغرق فى بحر الحيرة والذهول، وبدأت الدقات تغادر القلب إلى عيناى فى سرعة رهيبة، بل بدأ سمعى يستمع إلى دقات قطرات المياه خارجة من الصنبور القديم تصل إلى حوض متهالك فى حمام موقعه أخر الكتيبة،
كانت الرسالة معلنة عن بداية فصل جديد فى قصتى وكانت فحواها المفجع لى، متسبباً فى شلل تام لشعيرات جهازى العصبى:

-لم أجد سبب لرفض العريس فأخبرت امى عن قصتنا وهىَّ منتظرة لقائك-.

٦

أسماء -الجزء الثالث-

فى إحدى أيام أغسطس الحارة حيث كنت أستمتع بارتفاع درجة الحرارة برفع درجة التثقيف والمعرفة لدى، فقرأت فى إحدى الكتب أن الجسم عندما يستشعر الخطر تنشط جميع الأعضاء لتعمل بكامل طاقتها، وها أنا فى شهر يناير القارص برده بدأت أعضائى تنشط وتعمل بكامل طاقتها وأنا جالس أمامها، فبدأت أذنى تستمع إلى صوت تسريب حوض الماء فى مطبخ الشقة العاشرة تبعد خمس بنايات عن مقعدى، وبدأت عيناى ترى ما وراء الحوائط فرأيت العمال داخل مطبخ الكافيه يعملون فى جد ونشاط حتى إن إصطدم أحدهم فأوقع طلباً فى الأرض وهرول مسرعاً لتنظيف الأرضية خوفاً من مرؤسه ومن الخصم، فيتبين لكم من حديثى أننى أجلس فى إحدى الكافيهات وأمامى إمرأه، لكن فى الحقيقة إنهما إمرأتان.

فى تمام الساعة الثانية ظهراً وبعد أن أقنعت مقدم الكتيبة أن هناك مسألة حياة او موت فلابد من إجازة يومان، ها أنا جالس أمام أسماء ووالدتها التى أصرت على هذا المكان وذلك الوقت، قدمى اليسرى تبدأ فى الإهتزاز حتى أحدثت هزة فى المكان يشعر بها طفل نائم فى الصين مقياسها سبعة ريختر من أثر القلق، لا أعرف ماذا أقول او من يبدأ فى الكلام، بعد صمت دام لمدة خمس دقائق جاء فيها أحدهم لأخذ الطلبات فطلبنا العصائر بادرتنى أمها بسؤال يفتح الحوار، حوار مع أم حبيبتى.

-ها. . تكلم يابنى أريد أن أستمع إليك؟
-أنا شاب فى مقتبل العمر، كنت زميلاً فى الدراسة لأسماء -قالباً نظرى إلى أسماء فى ابتسامة محاولاً إستمالة قلبها معى ضد من تقلبنى بنظرات عالمة فى علوم لغة الجسد- وأنا الآن فى فترة التجنيد، ستنتهي قريباً وسأبحث عن عمل ثم سأتزوج
نظرت إلى ابنتها ثم رشفت من عصيرها رشفات قليلة، لا أعتقد أن تلك القطرات روت عطشها، ثم تحول نظرها إلىَّ مرة أخرى وأكملت
- هل لديك مسكناً؟
- لا، لكن سوف أتأجر سكناً فى بادىء حياتى. . .
قاطعتنى هذه المرة قائلة
-ماذا يعمل والدك؟
-موظف فى مصلحة الضرائب العقارية
- هل سيساعدك فى الزواج؟
-لا أعتقد، فهناك إخوتى فى مراحل التعليم المختلفة
-أعتقد أنك تريد منا الإنتظار إلى بعد أن تجد فرصة عمل وتبدأ فى ظبط وضعك المالى، هل أنا مُخطئة؟
-لا -بابتسامة سخيفة ارتسمتها على وجهى حيث وجدتها أصابت الهدف ببراعة-
-ومالذى يجعلنى كأم أرفض عريساً جاهز للزواج وأفضل آخراً لا يعلم غداً ماسيحدث؟
حاولت أن أتكلم فنظرت إلىَّ بنظرات أعلمها فقد توارثتها الامهات عندما تريد إنهاء موضوع ما ترمى الام تلك النظرة بمعنى أن النقاش أغلق فتحول

بصرى إلى ابنتها الجالسة بجوارها ففهمت ما أحاول إرساله لها فتحدثت إلى امها لكنها أصابتها نفس النظرة فعم السكون الطاولة التى نجلس حولها.
-سأتحدث معكم أنتم الإثنان بلغة المنطق، لقد وافقت على مقابلتك لأرى من هو الذي رفضت ابنتى الزواج من عرسان لا يرفضا حتى الآن، انت شاب ذكي مجتهد لكنك غير مستعد الآن، أعلم أن هناك شيئاً بينكما تسميناه حباً لكن ماذا لو انتظرتك ابنتى فلم تجد عملاً مناسباً؟ هل الحب سيجد لك وظيفة تساعدك فى الجواز فى مدة زمنية قصيرة؟
-سأجد فرصة عمل بعد إنتهاء مرحلة التجنيد فوراً، أنا متأكد من ذلك سأرضى بأى وظيفة، أعطنا فرصة
-أنا أعطيكما فرصة بالفعل، لكن فرصة نجاة من كارثة اجتماعية قد تقعا فيها إن وافقنا على ما تريدان.
أشارت بيديها طالبة الحساب فجاءها دفتراً جلدياً نظرت فيه فأخرجت مبلغ من المال وضعته به بعد أن أنهت محاولتى لدفع الفاتورة بإشارة منها قائلة
-يابنى. . إن فاتورة الحساب براتب شهر، أخى ضابطاً فى الجيش وأعلم رواتبكم جيداً.
أخرس لسانى ووقفت الكلمات فى حلقى فشعرت بإختناق، فضربت القاضية وهىَّ ترتدى النظارة السوداء وتخرج من حقيبتها مفاتيح السيارة محاولة إظهار مستواها الاجتماعى لى كإنها تخبرنى من أنت الذى يأتى ليتقدم إلى ابنتى وهو لايملك من حطام الدنيا شيئاً.

قالت لى وهىَّ تهم بالنهوض.

-أتمنى أن ينتهى ما بينكما وألا تتصلا ببعضكم البعض مرة أخرى وانت يابنى ادعوا الله أن يرزقكك ببنت الحلال عندما تكون جاهز للزواج حتى لا تتعبها معك، الزواج ليس حباً فقط.
قامت مغادرة هىَّ وابنتها المصدومة وأنا فى حالة ذهول من تلك المقابلة، فلقد حسبت كل توقعاتى فلم اتوقعها قاسية كتلك، لقد علم سوطها على ظهرى، تحول ذهولى إلى سخط على نفسي، على ابى الذي لم يأمن مستقبلى، على بلدى التى إستدعتنى لخدمة إجبارية براتب لم يشفع أمامها لدفع فاتورة الحساب، على الحب نفسه الذي وضعنى فى موقف كهذا.

قررت أن أقوم من الطاولة لكنى لم أستطع، بدأ هاتفى فى الإهتزاز مرة واثنين وثلاثة، أمسكته فوجدت رقم أسماء أمامى تحاول الاتصال بى، فلم أجب. . تلك المرة ليس هروباً منها، تلك المرة تخلياً عن الحب.
عدت إلى الكتيبة مرة أخرى مكسوراً بداخلى شروخ كثيرة، فوجدت الكتيبة تبدأ الإستعداد لمشروع حرب قد يقضى على الإجازات لمدة طويلة، أغلقت هاتفى فى تلك الفترة، أفتحه من الحين إلى الآخر لأطمئن أهلى علىَّ، ثم تذهب إصبعى إلى رقم هاتفها ويقف ابهامى بين الزر الأخضر والأحمر، أتذكرها تضحك لى فيذهب الابهام إلى الأخضر فأتذكر المقابلة التعيسة أحداثها فأضغط على الأحمر بدون تردد وأغلق الهاتف.
بالطبع لا أعلم ماذا حدث لها بعد المقابلة، لكنى رسمت بداخلى بعض الأحداث المختصرة وأعطيت لنفسى موجز لأهم الأنباء، لقد تمت خطبتها

على العريس الجاهز، وبدأت تجد فيه شيئاً ولو بسيطاً فأحبته ثم تدخل الأم فتسقى ذلك الحب بمباركتها فينمو بداخل قلبها ذلك الحب الجديد, آخذاً كل المساحة طارداً الحب القديم الذى ماهو إلا ذكرى تم تخزينها فى ارشيف العقل قد ترى فى إحدى الأحلام صورة منها.

أنهيت خدمتى العسكرية وتخرجت إلى الحياة الصعبة فبدأت البحث عن عمل فلم أجد إلا بعد فترة ليست بقصيرة، عملت فى إحدى شركات الأدوية كمندوب مبيعات وكانت مهام وظيفتى هى الذهاب إلى الأطباء فى عيادتهم الخاصة وإقناعهم بمنتج شركتى كأفضل الحلول الطبية مع ترك هدية بسيطة ووعد إذا زادت نسبة المبيعات فى تلك المنطقة برحلة له ولأسرته إلى الساحل او شرم.

بالطبع تلك الوظيفة ليس لها علاقة بمجال دراستى، لكن هنا فى مصر ماتدرسه فأنه علم تنتفع به لنفسك لكن لاينفعك فى الحياة العملية، وفى إحدى المرات ذهبت إلى أحد الأطباء المشهورين فى وسط البلد، ابتسمت إلى المساعدة فأخبرتنى بالإنتظار فهناك مريض بالداخل، فجلست على إحدى الكراسى مخرج هاتفى مستطلعاً ما يحدث على مواقع التواصل الاجتماعى، ابتسم إلى إحدى النكات، حتى خرج المريض من غرفة الطبيب فهممت بالنهوض ممسكاً بحقيبتى، وإذ فجأة شعرت بهواء بارد يأتى من الجهة المقابلة لى،

بعد كل هذه الأيام والشهور أجدها أمامى خارجة من غرفة الطبيب مع والدتها، تبادلنا نظرات تحمل كل الأسئلة والإجابات أيضاً، فكل منا ينظر فى إصبع الآخر يبحث عن ما يدله على الإرتباط، كل منا ينظر إلى الآخر بنظرة سعادة مختفية وسط ألم عميق، نظرت الينا امها فقالت لها سأنتظرك

بالخارج تاركة ابنتها التى لم تبدى أى أهتمام إلى حديث أمها، أقتربت منى أمها مرحبة بى بابتسامة خافته بدون أن تنبت شفتيها بأى كلمة وأكملت طريقها إلى الخارج،

ذهبت نحوها وتقدمت نحوي كأن هناك مايجذبنا، نظرت إلى قائلة

-أين ذهبت وتركتنى؟ ولماذا لم ترد علىَّ طيلة الفترة السابقة؟-

لم أستطع الرد لكنها أكملت - أنت لا تعلم ماذا واجهت حتى أنتظرك كل تلك الفترة- ابتسمت ابتسامة طفل يشاهد الأفلام الكارتونية لأول مرة قائلاً- ما ماذا؟ الم تتزوجى -

أجابت برأسها بالنفى مع ابتسامة تفرج بها عن شعاع إنعكاس الجمال من لؤلؤ أسنانها، كم هىَّ جميلة عند الابتسام وكم هىَّ أجمل الآن، كم كنت غبياً حتى أننى لم أرُد عليها ولو مرة واحدة، كم كنت مغروراً عندما غيرت رقم هاتفى وقطعت كل مايربطنى بها حتى لايزيد جرحى وهىَّ واقفه فاتحة صدرها أمام خناجر الله يعلم حدتها وماذا أستحملت من ألم كل تلك الفترة.

ابتسم القدر أخيراً ووضعنى على خارطة الحب مرة أخرى، كافئنى القدر تلك المرة عندما تم وضع منطقة هذا الطبيب فى جدول أعمالى فجأه هذا الصباح، لقد ربح أخيراً الحب وأنتصر على مجتمع يتحدث بلغة المادية.

٧

أسماء -النهاية-

خرجت من المسجد أربط حذائى ناظراً إلى السماء التى إكتست بلون أحمر يتصارع بين لونين أحدهما أزرق داكن يحتل اللوحة كاملة والجهة الأخرى اللون الأصفر اللامع الذي يعلن إنتهاء وردية القمر وإستلام الشمس مهامه، أنهيت صلاة الفجر ثم جلست أقرأ القرآن فهذه عادتى دوماً قبل القدوم على عمل ما او دخول فى معركة خاسرة استنجد بالخالق لعل المعجزة تحدث فتنتهي المعركة لصالحى.

لكنى تلك المرة عزمت على الخسارة لإنها قادمة لا محالة، لا أريد من الله تجنب الخسارة لكن تلك المرة أريد أن يعِنى على مرارة العيش وتحمل العواقب، سرت فى الشوارع الفارغة أنظر من حولى فأجد بائع الجرائد يحمل بضاعته من الأخبار الكاذبة عن عالمنا ويستعد لفرش الصحافة الكاذبة، فتجده ينهمك فى أفراش بضاعته بشكل يربحه، فتجد المجلات العلمية والأدبية يستخدمها كقاعدة لبناء رفه ويزين ذلك الرف بالجرائد التى تسعى جاهدة فى إخراج أحداث الدعارة والإغتصاب والفضائح الجنسية فى أبهى صورها، والجانب الأخر يفرش به جرائد المعارضة كقاعدة أيضاً لرفه ويملأ الوجه بجرائد موالية للنظام المليئة بمانشيتات الإنجازات التى تحققها البلد فى الفترة الأخيرة.

أقلب نظرى مرة أخرى فأجد سيدة تمسك بيديها حقيبة مدرسية صغيرة وفى اليد الأخرى فتاة جميلة لم يتعدى عمرها حاجز الست سنوات تنتظر

اتوبيس مدرستها ليقلها إلى رحلة التعليم، هنا بدأ ألم يظهر فى جوانبى عندما تخيلت ابنتى فريدة عندما تبلغ ذلك السن وأمسك بيديها فأصلها إلى الاتوبيس، لكن تلك اللحظة بالطبع لن أراها، فسيكون هذا المشهد حصرى لأسماء وليس لى.

نعم تزوجت أسماء بعد أن أتاح لنا القدر فرصة أخرى لتصحيح المسار، وكانت تلك المرة البحر ليست هائجة أمواجه، فبعد أن رفضت أخر عريس متقدم لها وبعد أن قررت الانسحاب بعد المقابلة القاسية من والدتها، أرتدت أسماء زى المحارب ونزلت إلى أرض المعركة فقررت عدم الموافقة على العريس بل وصل الأمر إلى مقاطعة الاب والام، فى بادىء الأمر كانا الاب والام يشكلان جبهة ضد رأيها لكن بعد ما وجدوه من إصرار وتحدى منها، إنتزعت أسماء والدها بسلاح الحب والحنان فلم يستطع محاربتها وأنسحب من الجبهة بل وتحول ضد زوجته مقنعها أنه إختيارها وأن دور الوالدين أن يسهلا عليها الإختيار، لا يختارا لها، لكن الام أخذت فترة طويلة تدافع عن وجهة نظرها خائفة من إختيار غير موفق يضع ابنتها وسط غابة مليئة بالأشحار ليس لها نهاية ولا تستطع أن تعود إلى نقطة البداية.

انتصرت أخيراً أسماء لكنها لم تحتفل بانتصارها، إذ أن أحد أركان انتصارها مازال مفقوداً، بحثت عنى وأخذت تفتش ولكنى كنت محجوباً بالنسبة لها، كم كنت غبياً؟! صنعت بيننا حائلاً من خوفى وضعفى أعماها عنى كل تلك الفترة حتى إن التقينا فى عيادة أحد الأطباء، لقد شكرت الله على هذه الوظيفة التى أرتضيت بها عن غير رضى وحمدته أيضاً أن والدتها إختارت ذلك اليوم لتأتى للطبيب فى نفس يوم إعتذار صديقى لظرف ما فذهبت بدلاً عنه، كل الطرق تؤدى إلى روما فى النهاية وتقدمت إليها.

وجدت أباها يشد بيدى فيساعدنى فى إتمام أموري وتجهيز ما يلزم للزواج، ووجدت أمها تنظر إلى بابتسامة خافته لا أعلم معنى لها إلا إنها أُجبرت على الموافقة وإنها رفعت راية الاستسلام مرغمة عندما انقلبت الدفة عليها وخسرت كل حلفائها.

تزوجنا بعد عام من الخطوبة فكانت تلك الفترة تُدَرس فى إحدى كليات الاقتصاد، فلقد عملت بوظيفتان، ووجدت القدر يساعدنى بطريقة غير مباشرة او بطريقة مباشرة لجمع مايلزم من المال، وتدرس أيضاً فى كت الحب فلقد تضرعنا أنا وهىَّ جرعات حب تكفينا ألف عام.

لا أستطيع أن أقول أن نهاية تلك القصة هىَّ الزواج، لكنها يمكن أن توصف بإنها بداية النهاية.

جلست على إحدى المقاهى بعد أن اتعبت قدماى من اللف فى الشوارع الفارغة، وجدت كل من حولى فى المقهى يستعد إلى إفطاره الشعبى من الفول والفلافل الساخنة، حيث بجوار المقهى عربة فول متنقلة، فتجد المقهى حاضن لجميع أنواع الباحثين عن رزق، الموظف باحدى مؤسسات الدولة، العامل باحدى المصانع، الشاب الباحث عن عملاً ممسكاً فى يديه ورقة يمكنك أن تقرأ عنوانها من بعد ستة أمتار وهي السيرة الذاتية ولكن فى الحقيقة هى تحمل معنى أقوى -أريد وظيفة-،

الكل هنا يقبلون رغيف الفول بوحشية ويلتهمون الفلافل بعنف ثم يتجرعون بعدها جرعات من الشاى مع أنفاس من الدخان ثم يذهبا كلا فى سبيله، اما أنا أجلس هنا أراجع أوراقى فى عقلى وأتذكر تلك الأيام فى بدايات زواجنا.

كان الأمر أشبه بالعيش فى النعيم، لقد تزوجت بفتاة احببتها منذ فترة

المراهقة، وكعادة الاوقات الجميلة فإنها تتطاير بسرعة، وبدأنا فى أولى مشكلاتنا، وهىَّ رؤية كل منا الأخر عن حقيقته، بلا أقنعة يصنعها لنا الحب فنتدارى ورائها، بلا تزيين للاحداث ولا تغليف للمواقف، فوقفنا عاريين تماماً، كل منا رأى عيوب الأخر فى صراحة تامة، فقررنا التعايش مع تلك العيوب وعدم إظهار الضيق منها ولو حتى لحظة آخذين مسكناً اسمه الحب.

لقد إكتشفت إنها تعاني بإضطراب فى الجيوب الأنفية فلا أستطيع النوم ليلاً إلا بعد الإستماع إلى سيمفونية من سيمفونيات أنفها، وبدأت هى ترى الانسان الكسول العائد من العمل لايقدر على ترتيب ملابسه فيلقيها على أقرب كرسى له، ويدخل إلى المطبخ مملكتها المحصنة لصنع قدحاً من القهوة فيسكب نصفها بغير قصد على الأرضية المقدسة.

إكتشفت إنها مهووسة بمرض النظافة والترتيب وأنا كائن بوهيمى اتعايش واتكيف على الوضع حتى وإن عشت فى مستنقع ملىء بخنازير برية، تلك الهبة اكتسبتها أثناء خدمتى فى الجيش.

فى بادىء الأمر كل تلك الأمور الصغيرة كانت تضحكنا فاختلافنا يكمل بعضنا البعض، حتى تراكمت وتراكمت تلك الترهات فأعلنت ثورتها وملأت سلتها بالقمامة وكان الأمر بحاجة إلى شرارة لتشعل الأمور، كانت تلك الشرارة بالفعل موجودة وتتجسد فى شخصية أمها، فكانت شديدة الارتباط بأمها فتخبرها بتفاصيل التفاصيل، فترتدى نظارة القراءة وترتشف رشفة من الشاى الأخضر الساخن فتحلل لها الأمور من واقع خبرتها الزوجية وتدس سمها فى العسل وتخبرها كم هى كانت على حق فى رفضى وأننى لست جدير بها.

فى البداية لم تلتفت أسماء إلى سم أمها بل كنا كل فترة وأخرى نذهب لتناول العشاء فى إحدى المطاعم الفاخرة نوعاً ما وكأن شيئاً لم يحدث حتى أخبرتنى يوماً بخبر نشر السعادة فى جميع أجزاء جسدى وأعطى لى جرعة من هرمون السعادة يمكن أن تستخلصها من سيجارتان من نبات الحشيش، أخبرتنى بخبر حملها، فطِرت فى السماء بدون أجنحة مقاوماً جاذبية الأرض بالسعادة،

لكن فى فترات الحمل تلك لم تكن الأمور كلها حب وسعادة أيضاً إذ تقلب مزاجها بفعل الحمل بدأ يكبر لها كل مشكلة وكل أمر كانت لا تبالى به وبدأت المشكلات تتراكم والترهات تكثر وبدأنا فى توفير اموالنا لبناء مستقبل لتلك الفتاة الجميلة القادمة إلى عالمنا هذا.

ألغينا العشاء الشهرى الفاخر، فلم نجد مانفرغ فيه شحناتنا ونسترجع فيه ذكريات الحب والغرام، فأصبح الحب أرضاً بوراً تشققت أثر غياب المياه تحتاج إلى الإنعاش.

نظرت إلى ساعتى بعد أن فركت عيناى ومسحت عدسات نظارتى الطبية.

فالوقت مازال باكراً لكننى أريد أن أنهى الأمور بسرعة ففضلت الذهاب باكراً حتى لا أقع فى فخ الانتظار، تركت المقهى وأوقفت تاكسى قريباً منى وأخبرته إلى جهتى مريحاً ظهرى إلى الوراء أستمع إلى الأغانى الصادرة من مشغل أغانيه، تلك الأغانى التى تدل على شخصية صاحب التاكسى او سائق التاكسى فهو بالطبع ليس صاحبه، فلقد كان يتطاير مع كل مطب ويدخن السيجارة حتى تشتعل نصفها فيتطاير رمادها فى أنحاء التاكسى كله.

سرحت بعيداً وتذكرت تلك الأيام عندما بدأت الحياة تدب فى منزلنا من جديد، عندما خرجا إلى المستشفى شخصان فرجعا إلى المنزل ثلاثة، أدخلت فريدة الفرح والسرور إلى البيت فأنعشته لمدة عام كامل، حتى بدأت تلك المرة تأتى المشكلات فى ثوب آخر وهو ثوب الغلاء وضعف مرتبى أمام غول ارتفاع الأسعار، فبدأت العصبية والقلق يدقان باب قلبى وحياتى، فأتوتر من أقل المشكلات فأصطنع ضجة كبيرة بدون سبب داع فتقابلها الجهة الأخرى بضيق وحزن، كم قسوت عليها بدون قصد وكم هى استحملتنى لكن لابد من نهاية.

بدأت تستمع إلى نصائح أمها بل وتحفرها فى عقلها، تتفنن فى أغضابى ورفع معدلات العصبية وضغط الدم فى عروقى، بدأت اتسائل كل يوم لما وصلت الأمور لهذا الحد، فلقد حاربنا الكل من أجل انتصار الحب، فهل يتركنا الحب عند باب الزواج مغادراً لاقناع مغفلين آخرين؟! هل يعمل الحب عند أحد أصحاب قاعات الأفراح فينعش اقتصاده ويجلب له زبائن؟!

تركت التاكسى بعد الوصول إلى وجهتى، صعدت السلم شاعراً بنار تنهش فى ضلوعى، ناظراً إلى ساعتى فوجدت أننى أخطأت فى حساب الوقت مرة أخرى وها أنا متأخر عن ميعادى بفعل الازدحام المروري المفاجىء المصنوع بفعل إحدى الشخصيات الهامة التى قررت تغيير اتجاه خط سيرها تفادى لامكانية حدوث اغتيال ما، دخلت إلى مكتب المحامى فوجدتهم جالسين فى وضع أشبه بالجنائز.

أسماء تحمل فريدة على زراعيها كم تكبر تلك الملاك بسرعة فهى تطرق عامها الثالث شاهدة على أحداث مؤسفة، أمها تجلس بجوارها تنظر إلى لتخبر نفسها والجميع إنها كانت على حق، والدها يجلس حزيناً بجوار

المحامى والمأذون، دخلت بدون إعطاء أى تحية، اعطى لى المحامى ورقاً فوقعته بدون أن أقرأه،
نظرت إلى أسماء وأنا أريد أن أقوم فأحتضنها وأشدها من تلك المهذلة هى وفريدة وانسحب من تلك المسرحية، لكن سرعان مازال هذ الشعور الخافت، وبدأ المأذون يشرع فى عمله بقوله على الجميع مراجعة نفسه فقاطعته قائلاً
-نفذ رغبتنا يافضيلة الشيخ الحياة بيننا أصبحت مستحيلة-.

٨

أمانى

إنتهت قصة لتبدأ أخرى، إنتهى سطر ليبدأ آخر، هذه هى الحياة، تم تشبيهه بقطار يتوقف عند محطات ولكنه فى النهاية يصل لمنتهاه، تركت البلد بعد طلاقى من أسماء، وذهبت إلى الأراضى السعودية لمدة ثلاث أعوام أعمل لدى شركة أدوية كبرى هناك، جمعت من المال مايؤمن حياتى بمشروع أعتكز عليه عند الكبر، فى كل عام أعود شهراً إجازة أرى فيه فريدة، العب معها، تكبر ونكبر معها، أرى أسماء أيضاً عاضاً على أسفل شفتاى، كانت العلاقة بيننا راقية جداً، لم تتزوج ولم اتزوج، تدخل بيننا العديد من الأهل لإصلاح ما تم افساده لكننى لم أوافق وهىَّ أيضاً لم توافق، كل منا أنهى القصة بطريقته الخاصة.

بعد انقضاء ثلاث أعوام قررت العودة وافتتاح صيدلية لكى أكون بجوار ابنتى، جمعت إدخار العمر ونقود الغربة وأخترت المكان المناسب طبقاً لخبرتى فى الخريطة الدوائية، لكن تبقت أمامى عقبة الأوراق الرسمية، لابد من وجود طبيب صيدلى لإدارة الصيدلية أمام الجهات الرسمية وعلى الأوراق الحكومية، استشرت أحد الأصدقاء فعرض على مشاركتى فى الصيدلية ورشح لى فتاة فى أواخر العشرينات لإدارة الصيدلية، وبالفعل تم إفتتاح الصيدلية وسار كل شىء على مايرام.

أقابل ابنتى وأشاهدها تكبر أمامى، أتابع عملى الذي يكبر يوماً بعد يوم، وكان هناك شيئاً صغيراً بدأ ينمو بداخلى أيضاً.

بعد يوم طويل فى متابعة الأعمال والصيدلية أعود إلى المنزل أرمى بجسدى على السرير كمن يرمى حجر فى وسط بحيرة راكدة محاولاً النوم بسرعة محاولاً إكتساب أكبر قدر من الساعات فى النوم ولكن كالعادة لم أستطع النوم قبل التفكير فى الدكتورة أمانى ويتعمق تفكيرى فى مفاتن صدرها الظاهر منه جزء بسيط من فتحة القميص

لكنه سرعان مايصحى صوت ضميرى من الداخل

-ما الذي أفعله! كيف لى أن أعطى مجال لعقلى أن يفتح باب التفكير فى إنسانة مهذبة بهذا الشكل، إنها تندرج فى عرف تقليدنا وتربيتنا التى رباها لنا جيل الستينات إنها خيانة-. غالبت تفكيرى ودخلت فى نوم عميق.

مالذى يجعل عقلى يفكر بها كل ليلة هكذا، رائحة عطرها الفائحة فى جميع أركان الصيدلية وإن لم تكن موجودة بها. طريقتها المهذبة فى إدارة الحوار، ابتسامتها الدائمة التى توضح مدى تناسق اسنانها صفاً عسكرياً فى إحدى عروضهم أمام القادة، ام بُعدى عن النساء فترة الأعوام الثلاثة الماضية.

كل هذه الهواجس تتصارع بداخلى ويبدأ التقارب بأمانى يزيد كأن مغناطيساً قوياً يشدنى تجاهها، أحببتها ام أحببت جسدها، ومالعيب فى ذلك، نعم سأعترف أحببت جسدها وجمالها وسأتقرب اليها أكثر فأكثر وسأطلب يدها للزواج.

استشرت صديقى فى هذا الموضوع، فأنفرجت أساريره كم حاول أكثر من مرة أن يقنعنى بالزواج من أخرى وأن الحياة لم تقف عند أسماء، فطلبت منه التوسط بيننا وأن يفاتحها هو فى الموضوع، بعدها بيومان أخبرنى أنه تحدث اليها وهىَّ تحتاج وقت للتفكير ثم سترد علىَّ، لم أذهب حينها إلى الصيدلية ولم أتطرق للذهاب حتى لا أضع ضغط عليها، بل إنشغلت فى

الذهاب لرؤية ابنتى فريدة كثيراً هذه الفترة.
لماذا أذهب؟
هل لأرى فريدة ؟
ام لأرى أسماء!
لا أعلم لماذا؟
لكنى ذهبت إلى أمانى بعد أسبوع فوجدتها مبتسمة تطلب منى أن نجلس لنتحدث فى أمرنا هذا، جلسنا فى إحدى الكافيهات القريبة من الصيدلية، الابتسامة والخجل لايفارقها، فقالت بعد وقت من السكون
-أنا لا أجد سبباً فى رفض طلبك لكنى لابد أن أوضح لك الأمور، هناك شخصاً آخر أحبه وهو يحبنى، لكن ظروفه المادية صعبة قليلة هذه الأيام فنحن نبنى مستقبلنا معاً.
غاظنى حديثها هذا، اللعنة على الحب ورواده. فأجبتها
-انتِ صغيرة على فهم الأمور قليلاً، فكرى فى الأمر من الجهة المادية، حبك هذا سيموت مع أول يوم زواج، فكرى مرة أخرى ووازنى الأمور بعقلانية.
وجدت فى عينيها لمعة من أثر رقرقة دمعة سوف تنزل لكنها تأبى أن تحررها حتى انفجرت باكية وقالت
-أنا انتظرته كثيراً وهو لا يبالي البتة، عندما أخبرته عنك قال لى أذهبى وأبحثى عن نصيبك ربما يكون أفضل منى.
شعرت أننى فى تحدى أمام غريمى هذا فانقضضت على فريستى ووعدتها بشراء حصة صديقى فى الصيدلية وكتابتها بأسمها بعد الزواج، فأبتسمت وقالت
-حتى بعد أن أخبرتك أن قلبى يملكه غيرى.

بادرت بالقول
-لقد تركت الأمور لقلبى مرة فنزلت إلى القاع، عندما تركت عقلى يقودنى أنا الآن فى المقدمة، ساتركك تفكرين كيفما شئتى لا تستعجلى فى الرد.
طلبت الحساب وأخرجت مبلغاً من المال أكثر من المطلوب والباقى تركته بقشيشاً، وغادرتها وأنا على علم بأني منتصراً، على علم بأننى أستطعت كسبها من غريمى الذي لم أره من قبل، نعم لقد انتقمت من الحب تلك المرة وقتلت إحدى العلاقات البائسة التى يتزعمها كيوبيد وأمثاله.
بعدها بيومان جائنى الرد من صديقى بموافقة أمانى على طلب الزواج.
قررنا الزواج بعد ٦ أشهر من قراءة الفاتحة بناءاً على طلبها، وعلمت أسماء بامر خطبتى وتدبيرى للزواج من أحد الأصدقاء، وفى إحدى المرات التى ذهبت لأرى فريدة حرصت على إظهار الدبلة أمامهم كأني معلناً لهم بأننى بدأت حياة جديدة، لكننى فوجئت بابتسامة أسماء وهىَّ تقابلنى تلك المرة وبعطرها الفائح رائحته، كم أعشق هذا العطر، ابتسمت لى وهىَّ مباركة بحرارة شديدة كأننى أخاها لم أكن زوجها، تعجبت لأمرها بل وجدتها أمامى أجمل من قبل، مالذى يحدث فى كيمياء جسدى، انتفضت انتفاضة فى قلبى معلنة عن استيقاظ دب قطبى كان فى سبات نائماً فى كهفه، هذا الدب هو حبى لأسماء.
خرجت من منزلهم تلك المرة، اتسائل لماذا لم تتزوج أسماء حتى الان؟ هل تتفرغ لرعاية فريدة فقط؟ ام أن هناك فى قلبها حب لى يعيش على انقاض منزلنا المتهدم. لا أعلم لماذا أفكر فى تلك الأمور الآن!
بدأ عقلى فى التشوش وبدأت أشعر من جهة أمانى بنفور يزداد تدريجياً كلما أقترب موعد زواجى منها وانجذاب كل مرة أقابل ابنتى إلى أمها، كم

أحتاج إلى الذهاب إلى إحدى الأطباء النفسيين لتحليل مرضى هذا، لم أعد أحتمل أمانى بل بدأت فى التهرب من مقابلاتها فى الصيدلية متعللاً بانشغالى فى أعمال أخرى وفى نفس الوقت بدأت زياراتى إلى فريدة تكثر وتزيد حتى فى إحدى الأيام.

قررت زيارة فريدة فى يوم لم يكن من المقرر زيارتها، وجدت هناك ميتماً منصوباً فى المنزل، أسرعت أدخل فعلمت أن ام أسماء ذهبت فى ذمة الله.

وقفت بجوار العائلة فى تلك الأيام كأننى مازلت زوج لابنتهم، وكانت أسماء تقابلنى مبتسمة شاكرة تلك المواقف، تأثرت كثيراً أمامها على موت والدتها لكننى من الداخل كان لدى شعور بالرضا أن إحدى أركان مشكلاتى مع أسماء إنتهى للأبد، فالرجوع الآن مرحب به بدون تدخلات الام التى كانت سبباً فى كسر عامود الخيمة الرئيسى.

زاد الصراع بدأخلى، وكان يشعله تعلق أمانى بى وشعورها بأننى منقذها من تجربة فاشلة كانت ستندم إذا تركتها تكملها، صارحتنى كثيراً بإنها وقعت فى حبي وغرامى وأنا لم ابادلها تلك الكلمة ولومرة واحدة كنت اكتفى بالابتسام أمامها، كانت تلك الكلمة لى ميتة نسبياً او حجزت لأخرى.

ذهبت إلى الصيدلية باكراً، استدعيت أمانى أن تأتى باكرة هى الأخرى، أعطيت الفتاة الواقفة فترة الصباح إجازة ذلك اليوم، جلست أنا وأمانى فى الصيدلية نتبادل الإفطار، وهىَّ تضحك أمامى كلما تجدنى أنظر اليها وهىَّ تتناول قضمة من طعامها.

-أمانى، أنا أسف، لا أستطيع أن أكمل خطوبتنا.

وقعت تلك الكلمات عليها كالصدمة، شعرت بإنها تريد أن تصفعنى او تضمنى إلى صدرها، لا أعلم لم تتحدث إلى او تخبرنى أننى أهذى لقد جعلتها تترك حب عمرها وتتعلق بى وعندما أقترب موعد الزواج أخبرها بأن كل هذا سراب، شرحت لها الأسباب التى تمنعنا من تكملة التجربة فتعللت بأبخس العلل لم أتوقع أننى دنيء إلى تلك الدرجة من الدنائة، أخبرتها أننى رجل شرقى يصارعنى بداخلى إنها كانت تحب رجلاً آخر، وأننى مازلت أحاول أن أقتل هذا الصراع لكننى لا أستطيع.

اجهشت فى البكاء وأخبرتنى إنها صارحتنى بتلك الأمور منذ البداية ووعودى لها، لكن كنت واقفاً كلوح من الثلج لا أتحدث ولا أتحرك.

تركت الصيدلية أمانى فى ذلك اليوم، بعدها أرسلت كل الهدايا والذهب مع صديق مشترك ولم أرها مرة أخرى.

بعدها باسبوع أرتديت احدى البزات الغالية ثمنها وحملت ورداً وقصدت منزل أسماء.

٩

النهاية

إلى فريدة ابنتى. . . . .

أكتب إليكِ يابنيتى تلك الأحداث لأُخبرك كيف كان كفاح والدك الناعم فى مجال الحب، أكتب إليكِ تجربتى لأنقل لكي وجهة نظرى عندما رفضت ابدآء رأيى فى من جاء لخطبتك مدعياً إنه يحبك، كم من المشكلات عاصرتيها انتِ بأم عينيكى بينى وبين أمك، هل تصدقين أن يوماً ما كانت أسماء حلم حياتى وحبي الأول والأخير، لقد تطلقنا يابنتى وعدنا بعدها متعللين أنكِ فى حاجة ألى ابوين غير منفصلين، عدنا بدافع الحب الخفى، هىَّ تحبنى وأنا أحبها،
عندما رفضت أمك حبيبك هذا رفضاً قاطعاً، وأخبرتك بأن أمور الحب هراءاً كنت أنظر من خلف نظارة القراءة أرى الماضى وكيف هىَّ حاربت جدتك من أجل الحب وكيف ظلت منتظرة عودتى الضالة ولم تتزوج، أمك تحاول حمايتك من أهوال الحب، تلك الغريزة موجودة فى كل الأمهات، ليس هناك وجود للحب، هو حكم قاسى أحكمه عليكى إن أخبرتك بتلك الكلمات التى تريد أمك أن القنها لكِ.
الحب متواجد فى كل أركان الكون، الشمس تحب الأرض فتحافظ عليها وتمسكها بمقدار إن زاد إحترقت وإن قل تجمدت، الحب دين اعتنقهُ جميع البشر على إختلاف العقائد والتقاليد، لقد أحب العربى فنطق بلسانه الشعر،

وحب العجمى فقدس الحب فى صورة إله.
لكِ يابنتى حرية الإختيار، انتِ من تحبين وانتِ من تقررين، انتِ أيضاً من تعيشين، نحن الآن نعيش لنصنع لكِ زكرياتك الخاصة لا لنحدد مستقبلك، نحن الماضى وحبك المستقبل.

.إلى فريدة ابنتى. . . . .

أكتب إليكِ يابنيتى معلناً رفضى التام لذلك العريس المتقدم لأنه غير مؤهل مادياً وأنه ليس هناك وجود لتلك الترهات وما يدعيه البعض أن هناك حباً، ناقلاً لكِ تلك الأحداث لتكن حجتى قوية، هل تريدين أن تدخلى إلى عالم القسوة بتذكرة الحب!
أكتب إليكِ لأخبرك تضامنى مع أمك وأننى واقفاً فى صفها أمام إختيارك الخاطىء، الحب ليس وقوداً للحياة، أنظرى حولك فسترى نتيجة الحب دائماً تنتهي بالفشل، لقد تطلقنا أنا وأمك فى بداية زواجنا بسبب تسرعنا واعتمادنا على الحب، انتِ ترين المشكلات بأم عينيك أين هو الحب ليتغلب عليها؟
أخبرك يابنيتى من واقع خبرتى التى استمدها من سنين العمر التى عشتها أنه ليس هناك وجود للحب، ونحن نُصر على ذلك لأننا نقف على قاعدة من المعرفة فى أمور الحياة تجعلنا نرى المستقبل، انتِ مازلت صغيرة على رؤيتها.

.إلى فريدة ابنتى. . . . .

أى الرسالتين أرسلهم؟ لا أعلم، لذلك قررت أن أرسلهم معاً وانتِ تقررين أى الرسالتين تقرأين.

تمت

القصة الثانية

سحابة وطن

١

فانتازيا المستقبل

قصف المدافع يهز العاصمة ويسقط ماتبقى من شموخها، أخذت اخوتى وأختبأنا مع ماتبقى من جيرانا أسفل إحدى العمارات المتهدمة، لى أختان صغيرتان تركهما والداى لى ميراثاً وراحاً ضحايا هذه الحرب اللعينة التى لم أتذكر كيف بدأت، وبدأت أنسى متى بدأت، اهتدى صوت القصف وبدأت رائحة الدماء تنتشر لتخبرنا عن إنتهاء القصف اليوم وإعطاء فرصة لازالة الجثث من المسرح لبدأ غداً جولة جديدة من المعركة معركة سقوط العاصمة.

خرجت باخوتى إلى الشارع مع بقية الجيران الذين انشغلوا فى التفتيش بين اكوام الجثث على أبنائهم وأبناء عموميتهم، وأنشغلت أنا فى مشهد سقوط البرج، برج القاهرة الذى ظل شاهداً مراقباً ما يحدث فى العاصمة فى صمت ليسقط اليوم متأثراً بجراحه وسط عدم لامبالاة من أحد .

مشهد متكرر بعد كل ضربة جوية، لم أكن أتخيل أن ما رأيناه فى أفلام أجدادنا سنشاهده بثاً مباشراً، أين ذهبت كلمة بلد الأمن والأمان! أين هى سنوات السلام والرخاء! من المسئول عن قتل المئات كل يوم فى قصف بلد سقط جيشها فى معركة تخيلنا أننا تلك المرة مستعدون لها.

الحرب بدأت، وأنتهت. . الآن مايحدث هو استهداف عرق بشرى، طالما كان الهدف من تلك الحروب هو التعصب لعرق او دين او لون، التعصب هو وقود الحروب الحقيقى.

ذهبت إلى كوخى أسفل إحدى الكبارى المتهدمة وأجلست أُختاى أمامى وبدأت فى تحضير عشائهما من قطعة جبن وقطعة خبز مع شَربة ماء لكل منهما وأكمل لهما بقية عشائهما أتلو لهما ما أتذكره من قصص وحكايات حتى يذهبا فى النوم وأجلس أنا أمام الكوخ حارساً لهما من كل سوء.

يهاجمنى مشهد سقوط البرج كل لحظة ليذكرنى بالماضى وينعش ذاكرتى بالقاهرة قبل الحرب فأشعر بسعادة داخلية وقلبى يرقص مع كل ذكرى جميلة او موقف مضحك، ثم ينتهي المشهد بإعلان العدو الحرب على مصر وتدمير السد العالى وخسارتنا فى الحرب وتقهقر قواتنا إلى الجنوب ومحاولات العدو دخول العاصمة والتصدى لهم من قبل المقاومة المشكلة من بقية الجيش وأفراد من الشرطة والشعب يقودهم، قائد الجيش الثالث الذي رفض الانسحاب وأتجه بما تبقى من قواته إلى العاصمة لحمايتها.

أُدير الراديو لأستمع للبيان اليومي الإخبارى الذي يسبقه جزء من خطابات الزعماء السابقين وبعض الأغانى الوطنية التى تبعث فى داخلك دافع المقاومة و الجهاد وأنه مازال هناك أمل.

يصارعنى النوم ويتغلب علىَّ فأسقط فريسة له وأنا فى عقلى أسئلة لا إجابة لها

هل لأختاى مستقبل؟

هل لهما أمل؟

هل لهما وطن؟

٢

سلاح الدمار الشامل

هل تعلم أن الساعة بها ستين عواءاً من الكلاب !
تلك المعلومة هى واحدة من المعلومات الهامة جداً في حياة الأدميين التى استنتجتها فى إحدى ساعات خدمتى في الجيش، حيث أقف ساعات حراسة على إحدى أراضى الوطن أحميها من أعداءه التى لم أتصور شكلهم حتى الآن.
جلست على إحدى الكراسى المتهالكة المتوارثة على مر الأجيال حيث يقال أن نجاراً وجد جندياً فرعونياً يقف طيلة مدة خدمته فصنع له هذا الكرسى من أوراق البردى فتوراثته الأجيال حتى يومنا هذا.
أمسكت ببراد الشاى أحتمى منه من لسعة البرد المشتدة فى تلك الساعات المتأخرة من الليل، وأصب ماتبقى من مياهه المغلية داخل كوبى الزجاجى حيث يختلط بأوراق الشاى الجافة ليصنع مايدفئ صدرى داخلياً.
وفى إحدى اللحظات التى أستمع بها إلى الراديو المتوارث أيضاً، ولكنه من جيل أحدث من الكرسى انقطع صوت مذيعه حيث اشتد الهواء الحامل فوقه برداً قاسياً لسعات سوته فأسرعت إلى كوخى بسلاحى لأحضر مايحمينى من هذا البرد الشديد،
وحينما خرجت ملتفاً ببطانية مصنوعة من الصوف وجدت شيئاً لم أعقل أنى سأجده فى تلك الصحراء الجرداء!!!

لم يكن شيئاً بل كان إنساً او جناً، كانت فتاة لم أجد مثلها فى بلادنا تجرى محاولة الإختباء فى ملابسها من هذا البرد القاسى قلبه كم أكرهه فصل الشتاء وقسوته.

ظننتُ أنى أحلم وأنى غفوت كعادتى فى مثل هذا الوقت لكننى لم أغفو.

لم أكن أحلم وتلك التى أراها فتاة تأكدت من ذلك بعدما أفرغت على وجهي إحدى قارورات المياه المخزنة لاسبوع قادم.

ذهب بى عقلى إلى ركن آخر ألا وهو أن ما أراه هو جنياً، حيث تلك الأرض التى أحرسها شربت من الدماء مايكفى لنمو حقل من المقابر فقررت أن لا أنظر لها وأتجاهلها طالما إنها بعيدة عنى بالقدرالغير مؤذى لى.

بدأ مايسمى بضميرى يحثنى على أنه من واجبى أن أذهب لها وأساعدها، إن ضلت الطريق فى تلك الصحراء فى حال إنها آنسية، لكن عقلى بحث فى قانون واجب العسكرية ولم يجد بها مايخبرنى به ضميرى إنه من واجبى.

ماذا أفعل ؟؟!! وتلك الفتاة إهتدت إلى مصباح كوخى وأخذته فناراً لها وبدأت فى التجديف نحوي.

قلبى وشيطانى يخبرنى بإنها آنسية ويوافق ضميرى على إنه من واجبى مساعدتها، فغلبا عقلى الذي لم يصمد أمامهما بمجرد أن وضحت إلىَّ ملامح تلك الفتاة جيداً

جميلة كلمة تظلم وصف جمالها فهىَّ أجمل من جميلة تلك الفتاة التى هىَّ حلم كل شاب فى نجعنا.

لم تستطع عيناى إعطاء لسانى الوصف الحقيقى لتلك الخارقة الجمال عيناها بلون زرع بلادى، وشعرها بلون حلى أمى، ولون بشرتها بلون الثلج، توقف العقل عن مهامه تماماً وأعطى لجامى إلى قلبى الذي بدأ يخفق

بسرعة كبيرة مخترقاً ستمائة دقة فى الدقيقة الواحدة، ولم يستطع السيطره على هذا الجسم الهائج تماماً حتى أيقظتنى كلماتها عندما اقتربت منى أكثر فأكثر وقالت لى:

- هل بإستطاعتك مساعدتى، أرجوك؟-

لم أجب بنعم او لا فابتسمت وأكملت -إننى من الأراضى المجاورة وقد ضللت طريقى ودخلت إلى هنا فتعطلت سيارتى هناك ولم أجد من يساعدنى إلا أنت هنا فهل أجد مساعدة منك -

رددت بلا تفكير - ياللمسكينة، أين هى سيارتك تلك؟-

قالت- اتبعنى-

فحملت سلاحى وخطفت مصباحى وهرولت ورائها مبتعداً عن كوخى أكثر فأكثر، حتى وجدت سيارتها على بعد ساعة من كوخى.

فحصت سيارتها وهىَّ تتابعنى فى اهتمام وأنا لا أعرف شيئاً عن السيارات فأنا أعمل فى بلادى فى مجال الزراعة فقط، حتى أخبرتها أن عطل سيارتها كبير وأنا لا أملك من المعدات مايمكننى من إصلاحه فوجدت الحزن عرف طريقه إلى عينيها، وبدأت الدموع تتساقط من عينيها فأسرعت أخبرها بأن هناك دورية تأتى كل أسبوع تجلب إلىَّ مؤونى ومياهى وإنها ستأتى باكراً فاطمأنت إلى كلامى وابتسمت ونظرت إلىَّ وقالت:

-كم أعشق فيكم هذا-

ففرحت بهذا المديح الذى أعتبرته خاصاً للرجال وأنا سفيرهم، ثم فجأة اقتربت منى أكثر فأكثر حتى التصق نهديها بصدرى فشعرت بدقات قلبى الذى كاد أن يخرج من قفصى الصدرى، وأمسكت بيدي الممسك بالسلاح وأفلتت منه السلاح، فأسرعت بإحتضانها وسرعان ما أطلقت العنان إلى ذلك الحيوان الذى بداخلى فافترسها تماماً مرة ثم مرة ثم اعاد الكرة مرة

ثالثة حتى خرت قواى وسجدت أمام ذلك الجمال الطاغى وغلب علىَّ النوم بعدها .
مرت ساعات وساعات وأنا نائم لم يوقظنى إلا أشعة الشمس المتعامدة على وجهي فاعتدلت وأعطيت لنفسى وقتاً لأتذكر ماحدث وهنا أفاق عقلى من غفوته فنظرت حولى فلم أجد السيارة ولم أجد الفتاة وسلاحى لم يكن معى. .
تركنى ام أنا من تركه!!
سألنى عقلى فلم أستطع الإجابة حيث انشغالى بالجرى إلى كوخى حيث شعرت وقتها أننى عارياً تماماً بلا مأوى
وصلت إلى كوخى فلم أجده !!!
وجدت مكانه منزلاً جديداً حوله ثلاثة أطفال يلعبون فى أرجوحة مبنية خارج المنزل، وأمهم تنشر غسيلاً وآباهم
يرتدى زياً عسكرياً لكن ليس شبيهاً لما ألبسه او ما اعتدت علي رؤيته ويحمل سلاحاً ويرفع علماً مرفرفاً أمام منزله،
أسرعت لهم فعندما رآنى الطفلان فزعا وأسرعا يحتميا فى أمهما تلك الفتاة التى كنت نائماً معها بالأمس، فأسرع نحوي العسكرى مصوباً سلاحه فى وجهي لكنه لم يكن سوى سلاحى المسروق أيضاً.
لم يترك لى وقتاً كافياً للاندهاش حيث أسرعت الطلقات من سلاحى إلى صدرى فاردتنى قتيلاً فى الحال.
حملنى ذلك الرجل ورمانى بعيداً عن أرضى بجوارعلماً متهالكاً كان يوماً يرفرف فوق أرضى وما أن تركنى وعاد إلى أدراجه حتى جاءت الكلاب تعوى ستين عواءاً فى الدقيقة الواحدة تقطع عشائها من جسدى.

٣

فساد الفساد

-وهذا وقد أعلن السيد الرئيس أنه لن يسمح ..... -
صوت مذياع مُكرِر لما يحفظه من حديث كالببغاء، أستمع له فى ظل احتجازى من قبل سلطات التكدس المرورى فى طريقى إلى المصنع بسيارتى الفارهة موديل عام خروج اقليدس من حمامه عارياً.
وعلى الطريقة الأمريكية أحاول إحتساء بعضاً من كوب القهوة، لكن أخرجنى أحد أبناء وطنى من المذاج الافرنجى بتحرش سيارته بمؤخرة سيارتى، جاعلاً على قميصى بقعاً من القهوة ليجعله نجماً لاعلانات مدام عبلة كامل لمساحيق الغسيل لمدة عام كامل .
لم الحق أصب غضبى عليه حتى وجدت نفسى فى معركة ركن السيارة، وكالعادة أخسرها وأترك سيارتى المتميزة بحجمها المتناهى فى الصغر بعيداً عن المصنع بميلين .
موظف شئون العاملين فى إحدى مصانع الدولة الكبرى هذا هو عملى الرسمى لكن فى بلادنا عملك الرسمى تحتفظ به بجوار مؤهلك الدراسى الرسمى أيضاً فانا أعمل فى هذا المصنع قاطع أرزاق أسوى أوراق المعاش والتسريح المبكر لعمال المصنع المطحونين، كلما أسرح أحدهم وأعطى له استمارة ستة أتأسف له من أعماق قلبى فمنهم من يعذرنى ومنهم من يظن أننى معهم فيبدأوا فى صب غضبهم على، لم يفرق معى هذا ابداً فانا عبد المأمور كما يقولون حتى طلب منى مديرى تسوية أوراق أحد العمال

وبوجه السرعة قائلاً لى بلهجة حادة - إمضى أوراقه قبل الأسبوع المقبل او أمضى أوراقك انت -.
أخذت منه الملف وذهبت إلى مكتبى الصغير أبحث فيه فى أمر هذا العامل، سحقاً إنه شاب فى الثلاثينيات قطعت يده بسبب عمله فى المصنع وجرت العادة على نقل من فى مثل حالته إلى أعمال إدارية لا لتسريحه مبكراً.
كالعادة جهزت الأوراق الخاصة بإنتهاء العقد، نظرت إلى ملف الاستقالات والاقالات، فكان حجمه أكبر من المعجم الوجيز.
أسقطت القلم وأنا أملأ الاستمارات تلك المرة، شئ غريب يشتعل فى صدرى تلك المرة، ليس السبب ساندوتش الفلافل الذي تناولته صباحاً، أخذت فواراً معالجاً له، لكن قوات المطافى لم تستطع إخماد النيران.
نادنى شيء خارجى وشدنى إلى النزول إلى المصنع استفسر عن العامل، وأبحث عن معلومات عن أسباب استعجال الإدارة من التخلص منه بسرعة هكذا .
نزلت إلى المصنع وذهبت إلى الورشة التى كان يعمل بها العامل هذا فوجدت زملائه فتوجهت لهم مباشرة، فى بادىء الأمر وعندما نظروا إلى ملابسى الرسمية توقعت اشمئزازهم من بقع القهوة المرقعة المستقرة على قميصى فحاولت إخفائها بجاكيت البدلة لكن بعد حديثى علمت أنهم يبغضون زى الإداريين لكنهم يخشونه أيضاً .
جزء منهم حدثنى بلطف مصحوب بحذر، وجزء لم يحدثنى وتجنبنى، وجزء كان يلوم العامل نفسه على اهماله وتسببه فى قطع يديه، حتى رأيت شيخاً وهو ليس بشيخ فى السن ملتحى يرمقنى بنظرات صامتة تراقبنى وعندما انتهيت تعمدت أن أسير بجواره حتى قال لى:

-أنجزت مهمتك، إذهب وأبلغهم بأنهم نجحوا -
-نجحوا فى ماذا ومن هم؟-
-من أرسلك لجس النبض-
- لم يرسلنى أحد و. . . . . - سكت برهة وقلت بأننى لست مضطراً لتبرير موقفى له وتركته مغادراً، لكنى وجدت فضولى يرجع خطواتى إلى الخلف ويثبت قدمى أمامه ويسأله
-لماذا يريدون تصفيته ؟-
-ولماذا تبحث؟ ، هل بإستطاعتك عمل شئ؟ -
-وماذا على أن أفعل فانا عبد. . . -قاطعه قائلاً
-عبد المأمور هذا ماتقنع به نفسك حتى اقتربت أن تسنيها إنك عبد لله - غلبنى هذا الشيخ بخطوات ثابتة وعندما ظهر انتصاره فى مرآه عينيى، قال:
-انتظرنى بعد إنتهاء العمل، سأقص عليك قصته-
انتظرته بعد إنتهاء الأعمال، وأخذته بسيارتى نجلس على إحدى المقاهى القريبة من المصنع، بعد أن رشف شيخنا من الشاى المختلط به أوراق النعناع وبعد أن نهيت قهوتى فى رشفتين متتاليتين قال:
-منذ شهر تقريباً خرج هذا العامل لنا يتحدث عن حقوق العمال وبدأ يُفهم العمال حقوق ساعات العمل الزائدة، وحق العمل فى بيئة آمنة، وإننا ننتج ولا نتقاضى أجراً كافياً فى المقابل وقد لاقى حديثه قبول معظم العمال وأتخذونه مستشاراً عماليا يسألونه فى كل كبيرة او صغيره فى حقوقهم، وكان يقف معهم حتى يأخذ العامل نصف حقه على الأقل، لكن من يجلسون أعلى فى المكاتب المكيفة رفضوا وجوده فقرروا طرده لكن العمال ثارت على

هذا القرار، فلما شعروا بخطره عليهم قرروا أن يجعلوه عظة لانصاره فلعبوا فى نظام الماكينة التى يعمل عليها فقطعت يديه، ونجحوا فيما يريدون، العمال بعد تلك الحادثة ارتعبت نفوسهم، ورجعت تعمل كالعبيد مرتضين بأقل من الحقوق -

كل هذا يحدث وأنا فى عزله تماماً عما يحدث فى المصنع، نعم فانا أعمل فى مكتب مكيف منفصل عن المصنع، ولكننى قررت ألا أسكت عن ظلم هذا العامل، فطلبت من شيخنا الذهاب لرؤية هذا العامل فى منزله، فاتفقنا أن نتقابل بعد أداء صلاة العشاء، ونذهب مباشرة إلى منزل العامل.

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ إستوقفتنى تلك الآية التى تلاها أمام المسجد فى صلاة العشاء، لست مواظباً على صلاة الجماعة فى المسجد، لكنى اتفقت مع الشيخ أن نصلى معاً فى هذا المسجد لنتحرك إلى وجهتنا، حركت تلك الآية جهاز الحس لدى وبدأت أشعر برجفة خفيفة، خرجت من المسجد بصحبة الشيخ والآية ترن فى اذناى.

منزل نصفه السفلى مدفون بفعل عمال الحي يرصفهم الشارع وتشويه مدخله، يتكون من باب خشبى قديم يربط درفتاه جنزير قديم وقفل كبير الحجم، منزل متكون من طابقين فقط، يفصلهما الواح الخشب التى تدل على أن عظامه غير مدعمة بعنصر حديد التسليح، خرج لنا فتى فى العاشرة من عمره فاتحاً لنا الباب، صاعداً بنا إلى الطابق الثانى.

دخلنا إلى الشقة، تتكون من غرفتان وصالة ليست بكبيرة، مفترشة بكنبتان، والمطبخ يحتضن بأخره حماماً ضيقاً، صور معلقة بالأبيض والأسود على جدران متهالكة، أعتقد أنها للأبوين، وآيه الكرسى وبجوارها المعوذتين موزعتان بأحكام على الحوائط.

غرفة العامل تحتوي على سرير قديم يرقد عليه وبجواره كتب متراصة من حوله وأمه ناظرة إليه حاكية لنا قصص تفوقه الدراسى، وكيف سهرت معه الليالى تشاركه حلمه فى الحصول على البكالريوس، حاصلاً على نفس مؤهلى الدراسى!

انسان فقير لا يملك من حطام الدنيا سوى شهادة حكومية تثبت أنه متفوق دراسياً ومؤهل للعمل بدراسته، لكن هذا لايكفيه للعمل، فانا تقوقت عليه بواسطة الواسطة فحصلت على العمل فى المكاتب المكيفة، اما هو فارتضى أن يعمل عاملاً من أجل أن يعين أهله على مصاعب الحياة.

انسان فقير لايملك من حطام الدنيا سوى ثقافة اكتسبها من كتب يقرأها، فعرف حقوقه فكان كالشعلة المنيرة وسط طبقة عاملة كادحة لم ترتقي إلى مستوى ثقافته ولا علمه، فالتفوا حوله يشربون حقوقهم من نهر معرفته.

رجعت إلى بيتى، جلست فى غرفتى المظلمة، بكيت فجأه عندما ارنت بداخلى الآية مرة أخرى، هل نظلم أنفسنا بأنفسنا؟

قررت أن أعود إلى العمل فى الصباح وأن ابدأ حربى لجلب حق العامل، وأن الحق أحق أن يتبع، وأن لكل ظلام فجر ولكل ظلم نهاية.

فتشت ثانى يوم فى تقارير المستشفى والسلامة والصحة المهنية، فوجدت هناك تزييفاً فى الحقائق واجهت المسئولين بها، فتهربوا منى فى بادىء الأمر، حتى نهرنى مدير المصنع مهدداً بطردى معه أن لم أنهى الأوراق المطلوبة.

اتفقت مع الشيخ على حشد العمال والوقوف فى جبهة واحدة ضد الإدارة، والدخول فى اعتصام مفتوح حتى يعاد الحق لصاحبه ويحاسب المسئول عن الحادث، فدخلت إلى مدير المصنع وفى يدي ملف العامل، لم أعلم من أين أتيت بتلك القوى فى الحديث لقد رميت أمامه الملف مهدداً بالتوجه إلى

النيابة والابلاغ عن مايحدث، نظر إلىَّ مبتسماً وأجلسنى وأستمع إلى طلباتى كاملة.

دخل العمال بقيادة الشيخ إلى اعتصام ورفض العمل وتزامنا مع عرض مطالبى، فاعطانى القوى التى احتاجها للوقوف أمام المدير والتحدث معه بتلك اللهجة.

فاجأنى بأنه سينفذ كل مطالبى، وطلب منى إقناع العمال بالعودة إلى العمل وسيتم صرف علاوة لهم، قررنا أنا والشيخ إنهاء الاعتصام حتى نرى ماسيحدث من جانبهم.

فى اليوم التالى كنت فى أحد الأقسام بعد أن تم توقيفى فى إحدى اللجان بجوار المصنع وأنا ذاهباً إلى عملى، فحسب ما تم كتابته فى المحضر، أنه تم ظبط معى مواد مخدرة !!

وانتهت الحرب وقررالمدير طردى من المصنع، وتم إذاعة الخبر كالصاروخ فى المصنع كله وتوقعت أن يقف بجوارى عمال المصنع لكنى كنت وحيداً، لم أكن فارس المصنع الأبيض فتم طردى من المصنع بعدما تم تلفيقى تهمة تعاطى مواد مخدرة وتم تسوية معاش العامل والشيخ.

خرجت من المصنع بسيارتى الصغيرة فوجدت العامل والشيخ على الطريق فأخذتهم فى سيارتى لاوصلهما واحتجزنا مرة أخرى فى مخفر التكدس المروري فادرت المذياع ليواسينا فوجدته يقول:

-وهذا وقد أعلن السيد الرئيس أنه لن يسمح لاحد أن يمس حق من حقوق مواطنا، وإنه قرر أن يحارب الفساد -

٤

وطن بعد هزيمة ليس سهل العيش فيه

ضاقت من حولى لم أجد وظيفة تقبلنى، فكلما جاءك عمل، فجاءك بعدها بأسبوع طردك منه، لم أكمل تعليمى لقناعاتى الخاصة بأنه مضيعة لوقتى الثمين، ولأن أبى بعد النكسة لم يستطع توفير متطلباتنا للحياة حتى يوفر لى تعليماً بعد الثانوية فقررت أن أعتمد على نفسى حيث أننى أجيد لغتان الانكليزية والفرنسية، لكنها بلا فائدة فى محلات الفول وإصلاح الأحذية .
فى ظل الجفاف الاقتصادى، وأن السُكَر أصبح حيوان نادر، وسط إختفاء متطلبات الحياة الأساسية، لكن العالم المحيط بى تم تغليفه بغلاف من قبل النظام بأنه لم يهزم فى النكسة، ولكنه انتصر، وأنه قادر على استرداد أرضه مرة أخرى، لكنه منتظرالوقت المناسب لتوجيه الضربة القاضية واسترداد مافوق حقنا أيضاً.
فى ملحمة غريبة ممزوجة بدهشة من تصرفات وطن شعباً ونظاماً، فمن رئيس يحشد الشعب ويبث فيهم روح الانتصار بتهديد عدوه بإلقاؤه فى البحر، وبين شعب ينتظر الضربة القاضية التى سيسقط بها عدو وطنه ودينه ومغتصب أرضه العربية ومن أعلاماً يبث كل ساعة منذ بداية المعركة بشرى النصر وسط مريديه الملتفون حول المذياع، مهللون بالتكبير فور سماعهم بسقوط طائرة من سرب طائرات العدو.
اسُدِل الستار، وخرج الرئيس يعلن استقالته والاعتراف بالهزيمة، هزيمة !!
اليس نحارب أعداء الله! لماذا تخلت عنا الملائكة ولم تحارب فى صفنا عدو

الله والدين؟ خرج لشعب فى الشوارع فى مشهد غريب، يظنه القارىء للتاريخ لأول وهلة أنه يريد محاسبة النظام وإعدام الرئيس، لكن ارفع حاجبيك من الدهشة حتى تصل إلى فروة رأسك او تتخطاها كالرسوم المتحركة، الشعب يخرج لرفض استقالة الرئيس ويطالبه بالنصر.

فى كل مكان تجد عبارات تحث على مقاومة العدو، وآيات الجهاد مكتوبة على جدران المنازل، الطلاب يخرجون بمظاهرات مطالبة باستعجال توجيه الضربة القاضية، ورجال على المقاهى يستمعون إلى أخبار قصف السويس فيهرعون إلى المستشفيات للتبرع بالدم لاخواتهم هناك .

اهرب من كل هذا كل ليلة بالذهاب إلى سيد صاحبى القاطن باحد سطوح عمارات القاهرة للسهر والشرب والاستمتاع واللهو بصباح، صباح تلك الفتاة الجاهلة التى لم تكمل تعليمها، فتعمل خادمة فى البيوت والمنازل، يشدك إليها جهلها كعامل جنسى حفاز، فيجذبك إلى ارادفها تلك العباءة السوداء الملتصقة دائماً بأفخازها بفعل إحدى الخياطات، أرجع بيتى فجراً فيطردنى أبى ظهراً عندما يستشعر بوجودي.

لم أعد أطيق هذه البلد وخاصة بعد أخر مشادة بينى وبين أبى والقبض على سيد، لمشاركته فى إحدى المظاهرات الطلابية المطالبة بسرعة التحرك، ومصادرة أدوات السهر وإنقطاع وسيلة اتصالى بالمزاج وصباح، قررت إنه وقت البحث عن مصدر رزق فى بلد أُخرى تحت سماء وطن آخر، وجدت أن القدر قد ساعد على تسهيل أواراق سفرى حيث عملت لدى جواهرجياً عجوزاً لمدة أسبوع، وفى إحدى الأيام دخلت مكتبه فوجدته قد مات أمام خزانته وهى مفتوحة، استغللت الفرصة ونقلت كل الأموال التى بها إلى مكان أمن وأغلقت الخزانة، ثم هرولت إلى الشارع معلناً خبر وفاته محاولاً

الاستنجاد بالاسعاف حائزاً على جائزة اوسكار أحسن ممثل .
جمعت ماجمعت من المال، وبدأت فى رسم خطتى للهروب الكبير، لن أستمع إلى أكاذيب المذياع مره أخرى، لن أرى طوابير الشعب الكادح أمام الجمعيات الاستهلاكية، لن أرى نظرة أبى وهى تخبرنى بفشلى الدائم، اليوم قررت بداية الهروب.
سافرت إلى هولندا وهناك ادمنت القمار والنساء، فانتهت النقود التى معى فى ظرف شهر، خرجت بعد هذا الشهر مفلساً من الدنيا كلها سوى صديقى الهولندى الجديد الذى وقف بجوارى بعد افلاسى، ووفر لى عمل معه فى شركته، إحدى شركات السياحة التى اكتشفت بعد العمل بها لمدة شهران إنها ليست شركة سياحة، وكأفلام الجاسوسية اكتشفت إنها شبكة تخابر للعدو، وإن صاحبى الهولندى ضابطاً من ضباط العدو وإنه تم تجنيدى جاسوساً بنجاح.
جاء الأمر، عندما لم أستطيع دفع الإيجار، فعرض علىَّ صديقى المساعدة، كان يسألنى دائماً عن أحوال البلاد، وهل مازلت على اتصال بأحدهم هناك ام انقطعت اتصالاتى، وكان كالبحر أرمى فيه أسرارى وخرج مايكتم غيظى وهو مبتسماً لى.
أخبرته كم أكره أبى، والنظام فى وطنى الذي ساقنا إلى هزيمة من عدو لدود، هنا بدأ فى بث سمومه فى عقلى وأخبرنى لماذا تتخذهم أعداء، نظرت إليه وقررت أن أفحمه بإجابات تبين وطنيتى، لكن قطعت القطة لسانى فلم أستطع الإجابة، لماذا هم أعدائنا؟ ألم يغتصبوا أرضنا العربية وهجروا أهلنا وشردوا نسائنا وأطفالنا، لماذا هم أعدائنا؟ ألم نُربى على قصص خيانتهم ونقضهم للعقود، فلماذا لم أجب؟

أجاب هو على تلك الأسئلة الدائرة برأسى قائلاً:
-ماذا تفعل انثى الأسد عندما تجد من يهدد أبناءها الرُضع؟-
أقنعنى بعدها أنهم يريدوا العيش فى سلام، وأننا لسنا مستعدين لفهم السلام بالحوار، وأننا خطر عليهم بفكرنا هذا، وأن عملى هذا سيمنع أن تسوء الأحوال فى وطنى بمنع اندلاع حرب أخرى لايعلم عواقبها إلا الخالق، لم اهتم إلى ذلك المبرر لكننى اهتممت بالسبب الأخر، سأعود غنياً إلى وطنى، أعاقب من وصفونى بالفاشل.
فى بداية الأمر وافقت على خيانة بلدى وسط مبررات إنها دولة فاشلة خسرت أرضها وإنها لم تعطينى سوى الفقر والنكسة وأسكنت بهذا التبرير ضميرى واستمتعت بلذة فلوسها، بدأت فى النزول إلى القاهرة وجمع المعلومات والرجوع إلى هولندا لإخبارهم بما يريدون.

المقاهى. . هى وسيلة التواصل الاجتماعى فى ذلك العصر، أجلس كل يوم على إحدى المقاهى، استرق السمع من الجالسين المتحدثين بشدة عن هموم البلد واستعدادات الجيش ومايحدث فى الكواليس، وأيضاً استخدمها فى نشر الشائعات المطالب منى نشرها.
بل امتد الأمر إلى أننى أستطعت تجنيد من هم ضعاف النفس وكونت شبكة فى الوطن ونجحت فى إمداد العدو بالمعلومات الناجحة، فهناك عم فتحى رجل فى الاربعينات، لايريد من الدنيا سوى تجهيز ابنته العروس، فلم يجد المال اللازم من عمله فى إحدى المصالح الحكومية، فسقط فى شبكتى بسهولة ماداً لى بكل المعلومات، متخيلاً أننى أُجرى بحثاً لأحد الجرائد الأجنبية عن أحوال البلاد بعد النكسة، لم يبالى عم فتحى بالمبرر أكثر من

اهتمامه بالنقود الحاصل عليها لقاء بيع المعلومات.
وهناك أيضاً رقيب الشرطة عثمان، يعمل فى وزارة الداخلية، فيمدنى فى إحدى الليالى الحمراء باستعدادت وزارة الداخلية ومايسمعه من معلومات داخل الوزارة، بل امتد الأمر إلى تجنيد ضابطاً كبيراً فى الجيش نفسه.
ولكل قصة نهاية. فى وسط سفرى المتكرر، وضعتنى الأجهزة فى مصر تحت الرقابة حتى سقطت فى إحدى الاخطاء الغير مغفورة، فتم القبض على شبكتى، واستطعت أن أنجو بحياتى بأعجوبة، ومن ثم سافرت إلى بلد العدو، وأقمت بها هناك حتى مماتى متفاخراً أمام أبناء عدوى بانجازاتى مذلولاً أمام أبناء وطنى بعارى .

٥

الشعب يريد إسقاط . . . .

اشرقت الشمس فى يوم بدايته تغنى الطيور بترانيم التغيير فى انحاء البلاد والشوارع محترقة والعالم يراقب . هل يستطيع حفنة من صغار السن فعل ماعجز عليه الكبار . كل هذا يشغل ويتصدر الرأى العام اليوم . لكن هناك احدهم وسط تلك المعارك والتغييرات السياسية يعيش فى عالمه الخاص المكون من شقة فى الدور الرابع فى عمارة مكونة من سبعة طوابق . مؤشر عمره تجاوز الستينات .

يسمع صوت الضجيج فى الشوارع وصوت سرينة سيارات الخدمات المختلفة من اسعاف ومطافىء وشرطة . لا يعطها من انتباهه شىء . يفتح وسائل التواصل الاجتماعى فيضغط اعجاب وينشر احدى المنشورات التى اعجبته وشدت انتباهه وسط العديد من منشورات اخبار الحركة الجارية المتصدرة الاحداث بصور يتعللها جملة الشعب يريد وفيديوهات تدوى صراخا بجملة الشعب يريد . ولكنه لا يريد !

-امطرت السماء سمكاً فى تايلاند هذا الصباح . . . . . - و -هذا هو اغنى رجل فى العالم الامريكى جون فورد . . . . . - هذه هى نوعية منشوراته على وسائل التواصل . هارباً بمؤشره من مشاهد الدم والقتل والحشود. ثم يتذكر ابنه الوحيد المهاجر الى كندا فيرسل له صوره ورده فى رساله خاصة ويكتب - من يقبل هذه الهدية منى -

عقل عم عاطف الموظف فى جهاز الدولة سابقاً ، المحال الى المعاش بحكم

سنه حالياً يرفض مايحدث حوله من احداث . متمسك بحبه الى سيادة الرئيس . فهو يعلق صورته فى غرفة المعيشة ويحفظ انجازاته المنشورة فى الجرائد اليومية عن ظهر قلب . ويعلم ان كل مايحدث حوله هى هوجه صغار السن لا تفهم كيف يدار العالم داخل غرفة قيادة الدول السرية . نعم هو يؤمن ايضا بوجود حكومة مركزية للعالم اجمع . تدير العالم وتغير الخرائط طبقاً لاحتياجاتها.

اغلق عم عاطف جهاز الحاسب الالى الخاص به عندما انقطعت خطوط الانترنت وقام يستنشق الهواء النقى وحل الكلمات المتقاطعة مع شرب فنجان من القهوة فى البلكونة المطلة على الشارع الرئيسى . وما ان جلس حتى سمع ضجيج قادم من الشارع ورائحة الغاز النفاذه تتبعها . فنهض مسرعاً يغلق شيشه ويدخل يختبىء داخل حجرة نومه.

ماذا يفعل ؟ وقد انقطع عنه الانترنت والتلفاز قمره الصناعى ساقط ضوئه على الاحداث . فقرر النزول والجلوس على احدى المقاهى لكن اذنه تسربت لها انباء عن هروب المساجين من السجون . فلعن الاحداث التى غيرت روتين حياته الممل ولم يستطيع ممارسة حياته الكئيبة وها هنا قد خلقت فجوة فراغية فى خط زمنه المتصاعد الى النهاية

انتهت الاحداث بعد ثمانية عشر يوماً كان عم عاطف بها لا يخرج من شقته ابداً . غالقاً شبابيك حياته حتى لاينفذ اليها نور التغيير . اعلن التلفيزيون الرسمى فى نهاية اليوم الثامن عشر نجاح ثورة . فنظر الى البيان بعين دامعه تحولت الى باكية ، فقرر النزول وكانت الشوارع ملئة بالضجيج تلك المرة للاحتفال بنجاح الثورة . نزل الى الشارع وفى داخله هدف واحد . ارسال لكمة بقبضته الى وجوه احدى الشباب المشاركين فى الاحداث. او كسر

جمجمة احدى العملاء واصحاب الاجندات الخاصة بعكازه. لكن ماحدث كان عكس ما هو متوقع حدوثه.

نزل عم عاطف الى الشارع فوجد الفرحة والسعادة فى وجوه الجميع . حرك بداخله مشاعر اشتاقت الى الفرحة . فوجد احدهم يحضنه بشده ويقبله فاستجاب له ، والاخر يربط على كفه وفى وجهه ابتسامه وفى يده علم اعطاه له . فأخذ العلم منه ورقرقت عيناه بدموع الفرح لا دموع النعى تلك المرة . واخذ يهتف بأعلى صوته بنجاح الثورة !

رفعه احد الشباب فوق كتفه وقاد عم عاطف مسيرة حوله يهتفون ورائه بهتافات كانت تتسلل خلف اسوار عزلته فيسترقها سمعه من الحين والاخر . وما ان نزل من فوق كتف الشاب حتى التقطه احدى مراسلين التلفزيون الرسمى للبلاد . فقرر ان يقول رأيه ويحلل الاحداث من وجهة نظره استناداً الى خبرته الاستراتيجية وخلفيته السياسية . فاسترسل عم عاطف فى الكلام وذهب الى ماوراء الافاق يشرح للمستمعين المتعطشين الى فهم معنى الحرية والديمقراطيه ، وبكى عم عاطف فى وسط الحديث ونزل الى الارض ساجداً مقبلاُ تراب الوطن .

عاد عم عاطف بعد يوم طويل الى مسكنه . يضحك ويشعر فوران فى جسده من اثر نشوة السعادة . ففتح التلفاز فوجد حديثه يذاع ومكتوب اسفل الشاشة اسمه تحته بين قوسين -خبير استراتيجى- ففرح الرجل المسن واخذ يتراقص وهو واقفاً مستنداً على عكازه . فشعر بتعب اثر رقصته السابقة فجلس على كرسى وفتح حاسبه ليتصفح الانترنت ، فوجد صورته وهو يقبل الارض منتشرة فى جميع صفحات العالم.

دخل عم عاطف الى سريره قاصداً النوم لا يعلم ماذا يحدث ؟ حتى قصده

القلق . ففجأه اهتم عاطف بمصلحة الثورة وخاف عليها من الحاقدين والمفسدين . فجاء صوت الهاتف يرن قاطعا حبل تفكيره العميق . فأجاب عم عاطف فوجدها احدى مراسلات القنوات الفضائية تريد ان تحدد معه موعداً للخروج فى احدى البرامج كضيف لتحليل الاحداث بصفته شاهداً على ماحدث فى الثورة . وافق عم عاطف وقرر ان يستغل الاعلام كمنبراً له لمحاربة اعداء الثورة . فنهض مسرعاً من السرير ومر بغرفة المعيشة ليجلس امام التلفاز ليذاكر مايحدث حتى يستطيع ان يحمى الثورة .

نظر اعلى التلفاز فوجد صورة الرئيس فوق التلفاز . فقام مسرعاً بنزعها ووضع مكانها صورة شهداء الثورة يتذللها عنوان - الورد اللى فتح فى جناين مصر -

رتب افكاره وخرج الى العالم يتحدث بطلاقة عما رآه فى الثورة بلغة يتفهمها العامة فأحبوه واحبوا بساطته فى شرح تلك المسميات الدخيلة على قاموس حياتهم اليومية . ولم ينسى ان يضع بعض التوابل فبكى فى منتصف الحوار عندما تم ذكر كلمة شهداء. واعرب عن مخاوفه اتجاه الثورة ووضع حلول بديلة للازمات المتصاعدة .

زادت شعبيته واحبه العامة . فتحول عم عاطف الى الاستاذ عاطف الخبير الاستراتيجى والمحلل السياسى ، لم ينتهى طموحه الى ذلك الحد فقرر عم عاطف الترشح الى الرئاسة فى الانتخابات القادمة . وانضمت حوله شريحة جماهيرية عريضة .

وفى احدى المرات شعر بالتعب فجلس فى غرفة معيشته ينظر الى الصورة المعلق الحديثة فضحك على تصاعد الاحداث بسرعة جنونية وفهو من رجل فى الستينات محب للهدوء لاعناً صعود الاحداث ومقاطعة روتين يومه الى

مرشحاً محتملاً للرئاسة .
شعر بتعب يتغلل صدره وهناك اختناق فى صدره فلم يستطيع التنفس حتى خرجت انفاسه الاخيرة بصعوبة وانتقل عم عاطف الى الرفيق الاعلى قبل ان يكمل مسيرته الوطنية . وكانت جنازته مهيبة التف الكرب بعلم الوطن وحضر الجنازة كل اعلام ورجال الدولة ومريديه الذين كانوا يلقبونه بأبو الثورة.
وفى نعيه خرج احد الرفاق يتحدث فى التلفاز على احدى القنوات عن بطولات عم عاطف فى الميدان ايام الثورة وكيف كان الله يرحمه واقفاً ضد النطام منذ اليوم الاول وهو كان واقفاً بجواره كتفاً بكتف ، وبكى الرفيق عندما تذكر موقفاً لعم عاطف وهو يحمل احد شهداء الثورة يهرب به محاولة يائسة منه فى انقاذه .

مات عم عاطف وانتهت قصته .

٦

أنا من عاش ومات بلا وطن
إبنى ينتظر مستقبلاً محاصراً عاصمته بمدافع اليأس والخوف،
جدي من ترك يوماً سلاحه فانتزعوا أرضه
أبى من طالب بحقه فقطع ذراعه ولسان من معه
عمى من خانك يوماً فمات فى أحضان العدو بطلاً
أخى من ظُلِم يوماً فلم تنصره ياوطن
أنا انسان بلا وطن
لكنى أقف تحت سحابة أستظل بها من إحمرار الشمس فى صحراء الحياة الجرداء، تلك السحابة هى سحابة وطن.

القصة الثالثة

مجتمعنا وعاداتنا

١

لقطة من الماضى

هم بالمروو بجوار الكعبة مسرعاً حتى يلحق الجمع، أثار خطواته تسير على خط أبيض فى ليل قاتم السواد يفرشه له القمر فى ليلة أكتمل بكامل وجهه فتنزل أشعته لتنير وجوه أصناماً تحيط المكان المقدس فى زمن كانت تلك الأصنام آلهة تعبد من دون من خلق صانعها.

شاب قوى الملامح غليظ الوجه فى العشرينات من عمره، طويل القامة، يرتدى ما أشتهرت به مكة من أقمشة مزدهرة الألوان تدل على مكانته المرموقة فى مجتمع أشتهر بالغبار والرمل وطبيعته الصحراوية القاسية فتجد الفقير متسخة ثيابه من أثر هجمات الصحراء عليه والغنى مزدهرة ثيابه لا يهمه هجوم الصحراء فصندوقه مليئ بأقمشة وفيرة.

أسرع الشاب إلى الجمع وحياهم تحيتهم الشائعة فى عصرهم هذا واجتمعا حول أحد الأصنمة ليصلوا ويأخذوا البركة منه فى ليليتهم تلك، دعا ذلك الشاب إلهه أن يحقق له مناه وأن يوافق عليه تاجر الأقمشة الشهير فى تلك البلدة كاخطبا لابنته الخمراء الجميلة التى رأها مرتان فى السوق فانشد لها ووقع من حصان عراقته مرة وسقط أرضاً راكعاً أمام حبها يلهو ويلهث يريد الرضا من أهلها.

وعد إلهه بأنه سيبنى صنماً كبيراً له بجوار الكعبة وأنه سيقرب قرباناً لم يقرب من قبل له من أهل الشام واليمن، أن تحقق مراده، انتهى الجمع من تلاوة صلواتهم وذهبا جميعاً إلى إحدى الحانات فى تلك العص، أمر غريب

من العرب فى ذلك الوقت يلتزم بعبادة ولوحتى صنم مع إنه كان يفعل جميع أنواع الفحشاء والمعصية، فلماذا يحتاج إلى رب فوقه يأمره وينهيه وهو ليس فى حاجة إلى رب بل يفعل مايمليه عليه رغباته وشيطانه، فلماذا أخترع له رباً بل وصنعه وقدسه، اعتقد أن شعور الانسان بالوحدة فى حياته وأنه أقوى المخلوقات يصيبه بالخوف والهلع، فهو كالطفل يريد من يأخذ بيده دوماً ويوجهه ويلجأ إليه عندما لا يستطع وصول منتهاه.

اجتمع هؤلاء الشباب فى الحانوت ووالحوانيت هي بيوت الرخام تارة أخرى، أو هي كعبات مربعة الشكل فيها الفرش المزينة بالنقوش تضيئها سُرج، وهي أحياناً مُترفة إلى حد بعيد تزدان بالرياحين وأنواع الأزهار الفارسية مستعيرة طريقة الفرس في الشراب وطريقتهم في الطرب، وأخذَ يتناولا الخمر فقد تعددت خمورهم وتنوعت موادها، فكانت لهم خمور من التمر أطلقوا عليها اسم الفُضيح، ومن العسل وهي البِتع، ومن الذرة والشعير وهي المِزر، كما كانت لهم مشروبات من القمح ومن بعض النباتات الموجودة في الجزيرة كالسُكب، وفضّل العرب الخمر من الأعناب على غيرها من المشروبات وخصوها باسم الخمر، وأطلقوا على سائر المشروبات اسم النبيذ تمييزاً لها، وتناولا أيضاً النساء فكان صاحبنا هذا يعشق النساء يذهب كل يوم إلى الحانوت ليشرب من رحيق تلك تارة ويتناول سكريات تلك تارة فكان شعور الحب هنا فى اتجاه الجنس الأخر مقتصر على الجنس فقط، نظراً لطبيعة الحياة الشاقة والصحراء واللا حضارة.

كان عشقه وحبه دائماً يتجه إلى المرأه العيطبول والرعبوب، فكان إن إنتهت متعته منهن يزول شعور الحب لديه فالحب هنا كان مشروط بالشبع وإنتهاء الرغبة، ينتهي صاحبنا هذا من إفراغ شهواته فى رحم إحدى

المومسات ويذهب إلى بيته سكراناً مترنحاً فى طريق ترتص فيه الأصنام شاهدة على مافعله فى تلك الليلة وكل ليلة مباركه له أفعاله، منجية له من غياهب المستقبل وماتخبيه له الصحراء من أُسود ووحوش.

يبدأ النهار يوم جديد فى حياة صاحبنا هذا فيبدأ يومه بالشعور بصداع شديد يذهب فيبل جسده بالماء ليغسل روحه من تعب الشعور بلذة ليلة أمس فيذهب موتجهاً بعدها لأمه يأخذ منها البركة فارتباطه بأمه ليس كارتباطه للمومس او بالفتاة التى يحبها بل حب أقوى وأشد حب ليس مشروطاً بشىء، ولايسد جوعه ما يشبع النفس بأطهى الملذات، فتبشره أمه بأن الخاطبه فى طريقها إلى بيت تاجر الأقمشة لتجلب له فتاة العمر التى يحلم كل يوم بها.

فتاة رآها مرتين فوقع فى حبها، هذا حب صافي لايشوبه لذة الجنس نظراً لإشباع لذته كل ليلة مواظباً عليها كالصلاة لايقطعها ليلاً ولا يمل ولايكل، فكيف لقلب بهذه القسوة والقوة يسقط فى حب فتاه بمجرد أن رآها، تلك العضلة هى نقطة ضعف جميع العضلات يسقط الملوك وتشيع النيران فى البلاد بسبب ضعف تلك العضلة أمام الحب وتقوى تلك العضلة وتجف عندما تتشرب من مياه الكراهية فيهرب الحب منها ويسود القلب وقوى الملوك وتشيع أيضاً النيران فى البلاد.

إنتهى المطاف بصاحبنا بزواجه باحدى أجمل فتيات البلدة وارقاها فى الوسط المادى المتفاخر به العرب فى وقتهم هذا وبنى بيتاً جميلاً كان أوله حب وغراميات ووقعا فى حب بعضهم البعض حتى حدث الحدث الجليل.

فى إحدى الأيام شعرت فتاته بتعب شديد فاستدعت أمها فبشرتها بإنها حامل، فزف الخبر البيت كله فرحاً وبهجة والكل بدأ فى مباركة الوالدين

ومباركة مولودهما المنتظر إلا أبو صاحبنا هذا، بعد مرور شهران استدعى الأب أبنه وطلب منه أن يلاقيه أمام إحدى الأصنام الشهيرة، فذهب له فأجلسه بالقرب منه وقال له وهو يلعب بالحصى والطوب كيف هى تجارتك، فأجابه بازدهار التجارة وروخو المعيشة فسأله عن إمراته كيف حالها، فأخبره بإنها بصحة جيدة وأنهم يتهيئون للمولود القادم حفيده، هنا قاطعه بسؤال قائلاً -ماذا انت بفاعل إذا كانت المولودة بنت؟- وقع السؤال على صاحبنا وقع هشم رأسه فساد سكوت فوق سكون الليل يوحى بانتهاء الحياة على سطح الكون وموت جميع الكائنات.

عاد صاحبنا لبيته مهموماً يركبه حزناً جماً، لم يأكل بالرغم من أن إمرأته أعدت له العشاء الذي يحبه بل أخذ مجلساً منفراً منها وبدأ يتكرر سؤال أبيه فى مخيلته، ماذا أنا فاعل إذا كان المولود بنتاً، سيركبنى العار طيلة حياتى، لقد أنجبت بنت ياللعار، قاطعته إمرأته وأخرجته من قطار أفكاره بالسؤال عليه لما رأته مهموماً، فنظر إليها بحب وعطف وهم أن يخبرها بما فى قلبه ثم تذكر السؤال فى مخيلته فكشرعن أنيابه لها ونهاها عنه وأخبرها بطريقة غليظة أن تتركه لشأنه فهى إمرأه لن تفهمه أبداً، وكيف تفهمه أيخبرها بأن أباه زرع فى عقله بذرة قتل طفلة رضيعة لمجرد أن كونها بنت، أيخبرها بأن أبيها عاش طيلة حياته فى ظهره العار بمجرد أنه أبقى على حياة من أحبها وتزوجها.

الأمر ليست بهذه البساطة، عاد صاحبنا إلى الحانوت مواظباً عليه يومياً بعد أن قد كان يذهب إليه مرتان أسبوعياً ينظر إلى كل إمرأة مومس ويتخيل إنها ابنته فيتجرع الخمر مرة أخرى لينسى مايفكر فيه حتى فى ليلة طلب إحدى المومسات فسألها كيف أصبحتى هكذا فقالت له إنها أُتخذت

فى إحدى الحروب كسبية من قرية أخرى فانتقلت إلى حياة الجوارى والمومسات إلى يومها هذا، فذهب بعقله يشرد فى سماء المستقبل يتخيل بأنه بالفعل أنجب بنت وتم أخذها سبية فى إحدى الحروب وأصبحت جارية او مومس.

كل يوم يتجرع قلبه من كأس الكراهية جرعات منتظمة، فلم يبالي بزوجته ولم يهتم بالسؤال عن أمور حملها بل بدأ يهجر البيت كثيراً ويتركه لوحدها وهىَّ لا تعلم ما الذي غير الأمور وحول البيت من عش الحب والغرام إلى عش الكراهية والنفور، يأتى كل يوم سكراناً مترنحاً فإذا همت بسؤاله نهاها ونفرها بل الأمر طال فى إحدى المرات وألقى عليها كاسة ليغرقها بالخمر.

إنتهى الشعور بالحب بمجرد أن تم إشباعه بالوصول إليه وبدأت الآلام تظهر وتجرى كالشق فى البيوت القديمة، فبدأ يرى زوجته كإنها حمل عليه، وبدأ يضع مبررات لمشاهد رآها صغير لأبيه وهو يضرب أمه، كان وقتها يشعر بالحنق والغضب من أبيه لكنه اليوم يشعر بأن أبيه لديه الحق فهن يحتجن إلى القسوة والتأديب.

حتى جاء يوماً وكان مريضاً وأشتدت عليه أعراض المرض فقامت إمراته بمداواته فلما أحس بالراحة شعر بالحب اتجاه إمراته فجلس معها وصارحها بما فى مخيلته، لطمت زوجته وأخبرته بأن مايفكر فيه ضرب من الجنون وأن أمها اكدت لها إنها تحمل ولداً ففرح فرحاً شديداً وذهب منه همه لوهلة، لكن بدأ همها هى فى الانتشار فإنها لا تعلم ما إذا هى حامل فى ولد او بنت، بدأت تنظر إليه بشيء من الخوف هل سيقتل طفلى إذا كانت بنت!.

إجابتها له أعطته مسكناً قوياً لآلامه من سرطان زرعه والده فى عقله، بدأ يتناسى السؤال وتعايش مع الأمر بأنه ولد مسلم بيه لامحالة، ليس هناك

تكهنات ولا احتمالات أخرى فهو ولد وسماه أيضاً ولقب نفسه أيضاً بالابوية تيمناً لابنه القادم.
حتى جاء اليوم الموعود وبدأت زوجته فى الصراخ من ألم الوضع وبدأ القلق يدب البيت وجاءت الداية المختصة بالتوليد وتكرر السؤال فى عقل صاحبنا هذا عندما نظر والده إلي عينيه مباشرة، فرن السؤال رنيناً فى أُذنيه، اقترب الأب منه وشده من جلبابه قائلاً -لاتنسى عاداتنا وتقاليدنا-.
وضعت الزوجه طفلها وتأكد الخوف عند الجميع فالمولود طفلة بالفعل فلطمت الأم وصرخت الجدة وخرجت الداية عابسة الوجه تخبر الأب المنتظر البشرى بعكسها، فعبس وجهه واقتحم الغرفة فسمع صراخ رضيعه تحيطه يدي أمه كالسياج المحصنة فنزعها منها ورفعها إلى فوق ليراها جيداً لعل الخبر مغلوط لكنه تأكدت مخاوفه فنظر فى عينى طفلته فانكسرت حدته فجأة ولان قلبه فنظر إلى أمها المتوسلة ألا يؤدها وإنها لن تجلب له العار، فهى ابنة تاجر الأقمشة لم تجلب لأبيها العار وكذلك أمه لم تجلب العار لأبيه، بدأ قلبه يلين والحب يدخل إلى قلبه وسط مقاومة من الكراهية والخوف، ضاءت شرارة فى فتلة شمعة مصنوعة من الزيت ضعيفة وسط اللامكان المظلم المدفون فى قلبه، كان وقود الشمعة بكاء الطفلة وتأوبها بين يديه، كان وقود الشمعة الحب الذى يجمع بين الأب وابنته، بدأت الشمعة تحترق والنور يزيد داخل قلبه وينظر إلى إمرأته فهى أجمل فتاة فى البلدة وتهافت على حبها أيام وليالى فلم يفكر يوماً إنها عاراً ونظر لأمه كم يحبها ولم ينظر لها يوماً إنها عاراً، ازدادت الشمعة انارة وتحولت لفنارة تهدى حب ابنته الرضيعة إلى قلبه، بدأ النور ينتشر فى اللامكان ووضحت الرؤية بداخله وهدأت ثورته، حضن طفلته وبكى فاطمأنت الأم وأمها ونزل ملاك

الطمأنينة عليهم جميعاً فحال بنظره حولهم فشعر بارتياح الكل وهدوء ثورته حتى وقعت عيناه على عين ابيه الناظر له بعينين محدقتين، فاذا بالسؤال يجول بخاطره مرة أخرى فقرر أن يجيب هذه المرة على السؤال الذى تهرب منه كل تلك الشهور، نظر لابنته المخلوقة الجميلة تشبه أمها ووضع يده يداعب خديها فاغمض عينيه وأطلق العنان ليديه لتتحول من ملاك الرحمة يداعب طفلة إلى ملاك الموت يأخذ روح طفلة فكتم أنفاسها وسط ذهول الكل وصراخ الطفلة فاخرج روحها وهو مغمض العينين عن العالم المحيط يجيب عن سؤال زرعه شيطان فى داخله وانطفأت الفنارة فأصبح المكان مظلماً.

٢

باللو -المجتمع يضر بالمجتمع ويؤدى إلى الوفاة-

تدق الساعة لتعلن إنها بداية الشهرالجديد، فتتوضأ تلك السيدة فى عقدها الخامس فتصلى ركعتان وهىَّ جالسة على مقعدها لا تستطع القيام بفعل الروماتيزم الذي أنهش فى ركبتيها، ترتدى جلباباً اسودا فمن بعد وفاة زوجها وهىَّ تداوم على ارتداؤه، تستعد إلى الخروج من منزل متهادم فى إحدى الحواري المشبعة بالتلوث والصدء، تسير على قدميها مسافة يأخذها الشاب فى ربع ساعة لكن بفضل عوامل التعرية االزمنية والأمراض قطعتها فى ساعة إلا ربع.

وقفت فى صف ليس بقصير أمام إحدى مكاتب خدمة الجماهير لتقبض معاش زوجها الشهرى الذي كان يعمل عاملاً فى إحدى مصانع الغزل والنسيج التى مات انتاجها اكلينيكيا واندثرت تلك الصناعة للأبد، لقد مات زوجها تاركاً لها ميراثاً ثقيلاً بجانب الفقر والضغط والروماتيزم فترك لها أحمد ذو العامان فترعرع أحمد فى بيئة كانت هى المسؤلة لتحويله إلى باللو فهاهو باللو الآن يبلغ من العمر خمس وعشرون عاماً.

باللو هو شاب فى العشرينات من عمره، رفيع الوجه والجسم، يشتهر بارتدائه الفانلات الحملات دوماً شاهراً علامات الفخر على جسده أثر المعارك الدامية التى خاض فيها من أجل تعب الحياة، ينطبق على بشرته اللون الداكن من أثر الشمس الحارقة، يشغل وظيفة الذراع الأيمن لاحد أشهر البلطجية فى حيه آملاً من الله أن يترقى ويزيحه من عرشه ليرث ارثه.

إلتفت الناس حول ذلك المنزل الآيل للسقوط ذو البلكونات الخشب فى ذلك الميعاد ليستمعا لنفس ذلك الفيلم المتكرر من تكسير لاثاث البيت وصوت كركبة ممزوج بصوت انسانة مذبوح من الحزن وصوت انسان مذبوح من المخدرات لكن دون تدخل من أحد، الكل يخشى المشاكل بل ويتجنبها حتى اننا نصطنع الانشغال فى بعض الأحيان حتى لا نبدى اهتماماً بالتدخل إرضاءاً لضميرنا.

كان الصراع الدائر فى ذلك المنزل بين باللو وأمه حول قيمة المعاش التى لا تتعدى الخمسمائة جنيه، كان يرى إنها حقه من ارثه فى ميراث ابيه، يريد أن ينفرد بمصدر رزق البيت الوحيد لارضاء رغباته من تغييب العقل فى دوامات مخدرة مصدرها اقراص كيميائية مصنوعة لهدف علاجى آخر.

يأتى الأول من كل شهر ويبدأ باللو فى الصحيان متأخراً ليضمن وصول والدته من الخارج ومعها مبتغاه من المال، وما أن يفنتح ذلك الباب الخشبى القديم ينهض من فراشه مستخدماً أولى أساليبه وهىَّ اللجوء إلى العطف الأبوى وإلقاء مرساته فى قلب أمه طالباً منها استلاف مبلغ من المال لتسيير أموره الخاصة، تنخدع الأم كل شهر بهذه الخدعة فتجلس تعطيه نصائح حول ترك تلك الطريق الضالة والبحث عن عمل حلالاً رزقه وأن تلك النقود لاتكفيها لادويتها ولا لطعامهما لنصف الشهر.

يصاب باللو بالجنون وتنتابه الحالة الهيستيرية التى دائماً نتائجها تؤتى ثمارها، فيبدأ يعامل أمه كعدو له ويسبها باشد اللعنات ويبدأ بتكسير الأثاث وعلو الصوت حتى تبدأ الأم فى نوبة بكاء وهىَّ ترى أركان بيتها المتهالك ينكسر أمامها وتسمع الاهانات تخرج من فم كم أدخلت فيه طعاماً منذ خلقه حتى يومنا هذا.

تستسلم الأم فى أخر الأمر له فيخطف منها النقود ويذهب فيرتدى فانلته ويخرج من البيت فيسند ظهره على حائطه المتهالك فينظر من حوله فينفض المسرح من رواده ويتابع كل من كان يشهاد المسرحية عمله كأن شيئاً لم يحدث، يجلس القرفصاء على الأرض مدخناً إحدى سجائره الرديئة وما أن ينتهي منها يبصق على الأرض بصقة لها صوت ترن فى الحاره ثم يعلو صوته باحدى كلماته البذيئة لاعناً أهل الحارة بأكملها دون ايجاد رد مغادراً الحارة.

ما أن يغادر باللو المنزل ويتأكد الجميع من إزالة الخطر عن السيدة العجوز، تنطلق السيدات اللاتى يسكن بجوارهن مواسياً ألم سيدة جرحها ابنها وترى جهنم فى حياتها قبل مماتها ويبدأوا بجمع بعض النقود وإعطاؤها لها.

ما الذي أدى تحول أحمد إلى باللو؟

عندما بدأ الفتى الصغير فى استيعاب وفهم الأمور من حوله وجد نفسه دون عن اطفال سنه يتيماً، فقيراً لا يملك أباً، تأخذه أمه إلى الجامع قبل كل عيد او بدأية الدراسة لتختار له ملابس رثة قديمة، فيخرج يلعب مع الأطفال فيجد نفسه منبوذاً من أطفال جيله ومن المجتمع أيضاً.

فى بدايته الدراسية كان متفوقاً واضعاً أمامه كلمات أمه، أن التعليم حصن من الفقر، وأنه أملها فى أن يصبح مهندساً او طبيباً فيعوض ما رأته فى حياتها، لكن المجتمع المحيط له رأى آخر، فى المدرسة كان متفوقاً لكن أستاذ الفصل كان يحتقره وينبذه بل كان يتعمد إنقاص درجاته لأنه لا يأخذ دروساً خصوصية، الأمر الذي قد يجعل أولياء الأمور تتخلى عن تلك الدروس عندما ترى فتى متفوقاً بدونها، فبدأ المدرسون فى محاربة الفتى وإذلاله حتى لايحصل على درجات مرتفعة وحتى يتمكنوا من الحفاظ على

مصدر رخائهم وغنائهم.
بدأ الأباء ينظرون إليه أنه قد يكون كجرثومة قد تصيب ابنائهم بمرض خطير وهو مرض الفقر، فبدأو بتجنب ابنائهم منه وأصبح دائرة النبذ تكبر وتكبر حتى وصلت إلى المسجد أيضاً.
كان يواظب على الصلاة وهو صغيراً كان يجلس بين الصلوات يشكوا الله من سوء معاملة الأطفال ومدرسينه وفقره . . لكن هذا كان يغضب الرجل المسؤول عن المسجد فكان يريد أن يغلق المسجد بعد كل صلاة فكان يجبره أن يغادر المسجد ويجعله يصلى فى الخلف فاسحاً مكاناً فى الصفوف الأمامية للكبار فى السن بالرغم من أن رواد المسجد لا يتعدى العشر أشخاص.
كل هذا ساعد فى تحويل أحمد إلى باللو . . . هرب من المدرسة خوفاً من بطش المدرسين وترك الجامع خوفاً من بطش المسؤول عنه وتركه أصحابه، فلم يجد إلى ذلك الملعب القديم المتهالك يحده من الشمال سور المدرسة ومن الجنوب اكوام من القمامة ومن الغرب والطريق الرئيسى ومن الشرق مساكن متهالكة.
أعجبه المكان فكان يذهب هناك حيث لايضايقه أحداً فوجد مجموعة من الأطفال الضالين مسارهم مثله يفتشون فى اكوام القمامة جامعين كل مايصلح لاعادة التدوير من علب القصدير والبلاستيك القديم، اشترك معهم وساعدهم يومياً حتى وجد نفسه عضواً اساسياً فى الفريق.
تعلم معهم كل شيء، فكانوا كثيرين المعارك فشد عوده من الكثرة الضرب المباح فى كل الأماكن، بدأ فى تعلم شرب السجائر وشم مايستخدم كمواد لاصقة -الكولة- فبعث عقله فى إجازة دائمة، بدأ يكبر ويكبر باللو معه حتى استطاع أن يقتل أحمد بداخله.

فى إحدى الأيام، جاءت قوى صغيرة من الشرطة تفتش الحارة عن باللو، فكان مختبئاً فى منزله القديم، رن هاتفه فابلغه شخص ما أن الشرطة تبحث عنه، انتفض من مكانه وسحب آلته الحادة التى كان يخبئها أسفل السرير وصعد أعلى المنزل فوجد الشرطة تحاصره أسفل المنزل.

خرجت تهرول خلفه أمه فوجدته واقفاً على حافة سور السطح يهدد بالقاء نفسه أن لم ينسحبا، سقطت الأم ملطمة خديها ترجوا ابنها أن لا يؤذى نفسه، عجيب عاطفة الامومة هذه، ابن شاق عاق كسر كل قوانين الطبيعة بين الابن وأمه ومع ذلك لم تفقد ذرة من حبها وخوفها عليه.

أخذ يهدد باللو الضابط بأنه سوف يلقى بنفسه أن اقترب أحدهم منه، نظر إليه الضابط ببرود فأخرج من جيبه إحدى السجائر اشعلها وأخرج دخإنها من انفه معطياً الاشارة باختراق المنزل، نظر باللو إلى أمه الواقعة أرضاً تستنجده، أخرج من جيبه شريطاً من مخدر الترامادول فاخذ حبتان والقى بنفسه من أعلى المنزل.

سقط باللو وسط حصار من قوى الشرطة والحشود المتفرجة على مشهد لايتكرر كثيراً، سقط لكنه لم يمت ولم يقبض عليه أيضا، جاءت سيارة اسعاف حملته فألقته فى أقرب مستشفى حكومى، فقدما له العلاج اللازم من تجبيس الذراعين واحد الرجلين، عاد باللو إلى منزله على إحدى الكراسى المتحركة، فكانت أمه ساهرة على خدمته فتحولت إلى فتاة فى سن العشرينات التحقت حديثاً باحدى المستشفيات.

سهرت على راحته وتضميد جروحه، بل كانت تبتاع له سجائره أيضاً، حتى مضت ست أشهر حتى استطاع أن يعود باللو على قدميه كما كان مرة أخرى، فلم يتب ولم يتعلم مما أصابه بل اذاده ماحدث قوة وصلادة، فعاد

إلى أمور البلطجة والسكر مرة أخرى.
فى إحدى المرات التى زادت فيها جرعة المخدرات عن الحد الفوق الطبيعى، عاد باللو إلى منزله القديم المتهادم فجاءه شعور لا يستطيع تفسيره علماء علم النفس، دخل على غرفة أمه فوجدها نائمة على سرير مصنوع من مخلفات حديد الحروب القديمة، يأكله الصدأ أسفله، وهناك طاولة بجوارها تحمل مصحف أزرق غلافه كبير الحجم يجاوره حقيبة من البلاستيك تحتوي على العديد من الادوية، فوق الطاولة صورة الشيخ الشعراوى لمباركة المكان، خرج من الغرفة وقف فى وسط المنزل مخرجا من جيبه مطواه، فتحه وأخذ يضربها فى رأسه حتى تحول لون وجهه إلى الأحمر من كثرة الدماء، دخل إلى الحمام المتهالك وأفرغ كل الجاز الموجود فى إحدى البوابير القديمة التى تستخدمه أمه فى تسخين المياه للاستحمام وقام باضراب النيران فى المنزل المتهالك.
أسرع بعدها هارباً من النار التى التهمت كل شيء، التهمت جسد سيدة قضت حياتها تربى من هو سبب فى إنهاء حياتها، لعل الله انزل ملاك الرحمة فى صورة ملك الموت فقبض على روحها قبل تلك الحادث حيث لم يستمع الجيران إلى صراخها أثناء الحريق.
فى الصباح الباكر تحول كل شيء إلى رماد حتى جسد السيدة العجوز تفحم تماماً، سيطر البكاء على جموع المحبطين بالواقعة والحارة بأكملها، بحثاً عن جثة أخرى للابن لكنهما لم يجدا، كم تمنوا أن يكون الابن هو الميت والام تعيش.
دخل باللو رابطاً دماغه على مكتب الضابط الذي حاول القبض عليه منذ فترة، مبتلعاً على باب مكتبه اقراصاً مخدرة، استقبله الضابط بابتسامة

المنتصر فى معركة ضارية بين قوتين أحدهما تفوق الأخرى عدداً هائلاً، قال له والابتسامة لاتفارق وجهه

-لعملنا ونكمل المشروع، أنا أعلم أنك ستعود مرة أخرى

لم يكمل الضابط كلمته حتى أخرج باللو من أسفل ملابسه سلاحاً -مسدس حلوان عيار ٩ مم- مفرغاً طلقاته فى صدر الضابط، القى بعدها السلاح وتقبل هو الأخر رصاصات قسم الشرطة كله فى جميع أجزاء جسده فأصبح كالقماش المخروق يصب دماء من جميع الاتجاهات.

قتل باللو أمه عندما شعر بالندم على تلك الحياة البائسة التى كان بطلها الرئيسى البلطجى ابنها، أراد أن ينهى حياتها عندما تذكر كيف كان يؤذيها من الحين إلى الآخر، كان يتاجر مع أحد الضباط فى تجارة المخدرات بجوار عمله مساعد البلطجى الأول، كانت تأتيه نوبات صرع تكشف له عن أحلامه فى الطفولة وكيف تدمرت حياته فيتغلب عليها بالمخدرات والدخول فى مرحلة سكر دائمة،

تلك القصة كان من كتبها هو المجتمع المتشكل من اناس تتنفس النفاق وتعيش فى أرض الأحلام الزائفة، كتبها أناسا بدأوا بجرم صغير وهو نبذ الغير لعلة ليس مسؤول عنها من فقر او تيتم وادراجها فى صف العار والخزى.

٣

ابني هرمك

بدأ الهرج فى الزوال فى بهو القصر الملكى عند دخول الملك وجلوسه على عرشه حيث هرع كل المتواجدين فى الانحناء تعظيماً له، جلس الملك فى مقعده المصنوع بالكامل من الذهب، وأشار إلى وزيره قائلاً:

-اليوم أنهينا انجازاً عظيماً، لابد أن يخلد على حوائط المعابد -

أجابه الوزير بانحناءة خفيفة لاتقلل من احترامه لملكه ولاتهز وقاره

-أمرك يامولاى -

-أين السحرة ؟! فليزيدوا من سعادتى باخبارى بالطالع الجيد لهذا الإنجاز -

ما أن قالها الملك حتى ظهروا يتسابقون فى تمجيد ملكهم وانجازه العظيم ويأكدون له بأنه سيخلد ذكراه فى التاريخ إلى أبعد من أن يتخيل.

نظر الملك إلى قطيع السحرة أسفل عرشه، فازداد سعادة من كلامهم حتى وجد الساحر انوبو لايشارك السحرة فى التمجيد، فأشار الملك للسحرة بالتوقف ونظر إلى انوبو فتقدم يشق قطيع السحرة إلى أسفل عرش الملك وقال

-مولاى أخشى أن أطلعك على ماعلمته من الطالع بشأن انجازك فيتبدل سعادتك إلى حزن وهو ماسيحزننا بالطبع -

استغرب الملك إلى كلام انوبو فقال -مافى طالعك يانوبو؟ أجبنى بكل صدق

قال انوبو- ياأيها الملك العظيم, بناء الهرم الكبير إنجاز لن يتعداه أحداً فى مصر لزمن طويل بل سيمجد اسمك بحيث سيطلق عليه هرم خوفو-

استغرب الملك للحديث أكثر فقال مبتسماً بسخرية -وما يحزننى فى الأمر؟ أليس هذا الهدف من بناءه بهذا الحجم-

أجاب انوبو -مولاى, مايحزنك فى الأمر استطيع إخبارك به او الأفضل أن أريه لك إن شاءت رغبة مولاى -

أترينى ماسيحدث بالمستقبل انوبو؟-

-بل سأخذك إلى هناك مولاى -

انعقد حاجب خوفو وسط همهمة صادرة من قطيع السحرة قطعه خوفو بقوله

-وهل لديك القدرة على ذلك انوبو؟-

-مولاى, لقد تعلمنا فى مدرسة السحرة ألا نخبر جلالتك بما لانستطيع -

عاد خوفو متكئاً على عرشه ونظر إلى وزيره ثم قال

-أنا أريد ذلك انوبو-

هم انوبو بقول شيئاً حتى قاطعه الوزير -مولاى, إنه مشعوذ وأنا لا أثق فى حديثه الفاقد للصحة هذا -

ساندت السحرة موقف الوزير واتهموا انوبو بأنه جن وأنه لايستطيع فعل مايقول، قام الملك محتجاً على علو الصوت أسفل عرشه

-كفى, وأنت يانوبو أن لم تفعل ما تقوله ستذبح على أبواب الهرم -

-أمرك مولاى -

-متى تستطيع أن تفعل ماتقول؟-

-الآن يامولاى إن أحببت، لكن لى شرطاً واحداً-

-آجننت ياهذا كيف تجرؤ وتشرط على ملكنا شرطاً- صرخ بها الوزير فى وجه انوبو.

لم يلقى له الملك اهتمام وقال لانوبو
-هات ماعندك -
-انت هنا ملكى ولكن أنا هناك مرشدك أرجو منك الالتزام لتعليماتى حفاظاً على سلامتك مولاى -
-أنا موافق-
نزل الملك من عرشه متجهاً إلى انوبو الذى بدأ فى تحضير أدواته من ملاءة سوداء وقارورة أخرجها من جيبه وشرب منها جرعة وأعطى للملك فتناول منها جرعة والتفا معاً بالعباءة وما من لحظات حتى إختفى الملك وانوبو من بهو القصر وسط ذهول المحيطين.
مامن لحظات حتى أفتح الملك عينيه، حيث أخبره ساحره بالعد إلى ثلاثة ثم فتح العينين، وجد نفسه مرتدياً ملابس غريبة، وانوبو الساحر الأصلع الرأس قليل الحجم ازداد حجماً وشعراً، نظر حوله فوجد نوعية الملابس المرتدية كتلك التى يرتديها، مر بجواره أحدهم يقود حيواناً لم يرى فى سرعته فى عصره، فغمز انوبو قائلاً
- ماهذا الحيوان-
-إنه موتوسيكل، سيدى ليس بحيوان إنما من صنع الانسان-
-المصرى هو من صنعها، إنها أفضل من هرمى - قالها وهو يملأ رئتيه بالفخر والعزة،
نظر إليه انوبو فلم يرد. . .
وجد أطنان من القمامة بجوار سور يحيط بإحدى المباني، ذلك السور منقوش عليه رسومات وكتابات، اقترب أكثر فأكثر، ميز الملك الرسومات المدفونة خلف أطنان القمامة، إنها رسومات الهرم الأكبر، هرمه. . أشار إلى

انوبو وأخبره أن يقرأ له ماهو مكتوب على السور.
قرأ انوبو ماهو مكتوب على السور مخبراً الملك.
-هنا يامولاى مكتوب مدرستى جميلة، نظيفة، متطورة، وهنا مكتوب أيضاً العقل السليم فى الجسم السليم-
هناك كتابة شاذه مكتوبة بلون وهمجية ولم يشر إليها انوبو فأمره بالقراءه
-مولاى إنها كتابات تكتب على أسوار المدارس هنا ويرسمون رسومات لتحفيز احفادك بما فعلته أنت وأبنائك، لكن تلك الكتابة التي تريدنى أن أقرأها إنها من عمل المخربين-
-مثل المخربون الواضعى القمامة أمام مدارس أحفادى، اقرأ لى -
-أمرك مولاى، أحدهم كتب على السور الفرحة المنتظرة شيكو ٨/١٩-
-بمعنى ؟!-
- أنه يدعو أصدقائه لعرسه مولاى-
-يستغلون السور فى الدعاية للمناسبات الاجتماعية، إنهم عباقرة يا انوبو-
نظر إليه انوبو ولم يرد.
بعد أن ألف به انوبو وشرح له مايراه من اختراعات عظيمة يعتقد الملك أن المصريين هما من اخترعوها، ولم يرد انوبو بتصحيح له أى من المعلومات المغلوطة التى يستنبطها عقله لاحظ الملكأان أحفاده يعتزون به وبأبنائه كثيراً فتجد الصور المعلقة للاهرامات منتشرة فى جميع الأرجاء، فكان يشعر بالفخر حتى الآن.
قرر الملك أن يذهب ليرى إحدى المدارس التى تعلم أحفاده، دخل الملك إلى مدرسة الهرم الابتدائية المشتركة، وفى مروره بأحد الفصول وجد تكدس التلاميذ فى أحد الفصول، وكأن على رؤوسهم الطير، كان هذا أحد الفصول

المزينة بلوحات بها رسومات عن الهرم و المقولات المأثورة المقتبسة وخيوط الزينة تذهب وتعود فى سقف الفصل.
اما عن الأبنية، فتجد أن للفصل ليس له شبابيك، فقام الورق المقوى من بقايا صناديق التغذية تقوم بدورها الضعيف أمام الهواء البارد.
المقاعد متهالكة ومنكسرة، الحوائط تقشرت وخلعت جلدها فظهرت الاسياخ المسلحة لها. . .
الأطفال متراصون لا تسمع لهم صوت ينظرون إلى السبورة الفارغة تماماً الا من موضوع الدرس ورقم الحصة والتاريخ العربى والميلادى، هناك مكتب تجلس عليه إحدى المدرسات تتحدث فى الهاتف العالق بين ايشاربها ورأسها، حيث منشغلة يديها بتصحيح الكراسات أمامها على المكتب إحدى العصيان الرفيعة الطويلة تشبه فى لسعتها السوط، وفى منتصف السبورة تقف فتاة أمام زملائها تنظر إليهم، تراقبهم، تصطاد أحدهم ثم تذهب إلى السبورة تكتب اسمه، فتجد نظر المدرسة تحول إلى التقاط الاسم الجديد فى اللائحة فتشر إليه، يأتى الطفل ليعاقب بضربه على يديه ثلاث جلدات ثم يقف بجوار زملائه فى اللائحة رافعاً يديه إلى السماء عقاباً له.
شرح انوبو المشهد كاملاً إلى الملك الذى صاح وقال
-هل هذه وسيلتهم لتعليم الأطفال؟-
ذهبا بعدها إلى مدرسة الهرم الثانوية بنين فلم يجدا أحداً من التلاميذ، وجدا الاساتذه ينامون فى فصولهم، منتظرين انقضاء ساعات عملهم الوهمى لبدأ عملهم الحقيقى.
-أين طالبى العلم؟-
شرح له انوبو ان التعليم تحول إلى تجارة كالقمح والأرز فالطلبة تذهب إلى

الدروس الخصوصية للحفظ والالتحاق
بالجامعات.
أخذه انوبو إلى إحدى المكاتب الحكومية لخدمة الجماهير، فسمع ورأى ما لايصدقه عقله الملكى، بدأت الكحة تشتد على ملكنا من كثرة عوادم السيارات وهو فى طريقه إلى الهرم.
دخل الهرم بيته فوجد السياح يلتقطون صور تذكارية للصرح العظيم، ووجد المصريين يلهثون وراء أموالهم يحاولون أن يبيعا لهم الهواء إن استطاعوا، أخذه إلى إحدى الحدائق العامة فوجد الإنحلال الأخلاقى وصل إلى أعلى قممه، فهناك يجلس أحدهم يقبل فتاته تاركاً يديه تكتشف جسدها فى الخفاء، وهناك مجموعة من الشباب يدخنون الحشيش ويبتلعون الاقراص المخدرة.
أخذه إلى أقسام الشرطة فوجد رجل الأمن المسؤول عن انضباط الامن يجلس على مكتبه يدخن السيجارة مشاهداً مساعديه ينقضان على مجموعة من الشباب جريمتهم هى المطالبة بالمساواة والعدل، يسوئهم سوء العذاب الذى لايستخدمه هو فى استجواب من وقع فى الاسر فى معاركه.
ذهبا إلى المستشفيات فوجدا المرضى بلا سرائر والأطباء بلا معدات وأجهزة، وجدا ما أبكاه من حالات ترفضها المستشفيات لعدم جاهزيتها.
إنتهى اليوم فنظر إلى انوبو قائلاً:
-كيف أحفادى أخترعا تلك السيارات والأجهزة الحديثة وهم فى هذه الحالة المتهالكة ؟-
-ليس هم يامولاى، غنها قبائل أخرى متقدمة عليهم باآلاف السنين-

-آهناك من هو يتقدم علينا، نحن نترك لهم ام العلوم ونكتب على المعابد ونشيد البنيان حتى يأتى من بعدنا فيكمل ويتطاول فى البنيانن ماهى إنجازاتهم أخبرنى بها يا انوبو؟-

-إنجازهم الوحيد الذى يتفاخرا به وسط العالم والقبائل يامولاى، هو ارثكم وتاريخكم-

نظر الملك إلى انوبو ولمعت فى عيناه إحدى الأفكار فقال

-أعدنا إلى قصرنا-

فعادا إلى القصر فى رحلة استغرقت يوم فى عصرنا ولم تستغرق زوال دهشة الحاشية فى عصرهم، صعد الملك إلى عرشه، جلس يفكر قليلاً، ثم قام من مجلسه صائحاً

- أحضروا إلى كبير المهندسين -

دخل كبير المهندسين إلى الملك منحنياً

-أمرك يامولاى-

-أحضر البنائين وأبدأ مشروعاً جديداً اليوم. -

تحفز كبير المهندسين

-وماهو يامولاى؟-

-هدم الهرم الأكبر-

فتحت الحاشية فمها وأطلقت العنان لهمهمات جانبية واجحظت العيون، فأكمل الملك قائلاً:

-اكتبا على انقاضه (ابني هرمك بنفسك)-

٤

شيخ الحارة

اليوم يوم الجمعة، نفحات ذلك اليوم العظيم تهف عليك برائحة ذكية تشتم بها روائح من الذكر العظيم، تصحوا على أصوات قراءة متميزة لسورة الكهف، تأخذ حماماً وترتدى الجلباب الأبيض وتضع مسكاً مركباً من عطور الأخوة، ذلك محل العطور المتخصص فى الحلول الكيميائية لاعطاءك عطراً مميزاً تثبت ريحته الذكية لوهلة من الزمن.

تقصد الجامع مبكراً، تقرأ ما تيسر من القرآن حتى رفع الأذان، يصعد المنبر شيخاً فى الستينات من عمره، أبيض الوجه أصلع الرأس، مخبىء صلعه بطاقية بيضاء اللون بها نقوش إسلامية، يرتدى جلباب أبيض قصير، يحمل أسفل صدره رطلاً من الدهون على شكل بطن ممتلىء، كالحوامل فى أخر شهور الحمل، أشار بيده إلى المؤذن، بعد أن قال -السلام عليكم ورحمة الله وبركاته-، ففهم المؤذن الرسالة ورفع الأذان.

-الحمدُ لله القويِّ الغالب، وَارثِ الأرضِ ومَن عليها وهو خير الوارثين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، أرحمُ الراحمين وأحكمُ الحاكمين وأسرعُ الحاسبين، إليه الأمرُ كلُّه وإليه يرجعُ الأمرُّ كلُّه وهو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، آمنَّا به وبما أنزل على عبدهِ المصطفى محمد، فنشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا وقرةَ أعيننا ونورَ قلوبنا محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ المرسلين وخاتم النبيين، كَثُرَ في الليالي بُكاؤُه، وكَثُرَ في مُخْتَلَفِ الأحوالِ دُعاؤُه.

قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها - كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم يذكُرُ اللهَ على كُلِّ أحيانِه. - ولقد صَحَّ عنه أنه إذا حَزَبَهُ أمرٌ قامَ إلى الصلاة، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدِك المصطفى المُبَيِّن عنكَ الشريعة الكاملة الغراء، والمؤدِّي الأمانة إلى جميع الورى، على خيرِ الوجوه وأجملِها وأحسنِها قدراً، وصَلِّ اللهمَّ معه على آله الأطهار وأصحابه الأخيار، ومن على منهجِهِم سار على ممرِّ الأعصار، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا كريمُ يا غفَّار. -

نظر إلى السماء برهة وأنزل عينيه تتفحص الجالسين أسفله، فوجد أن المقدمة أثرت فى نخاعهم الشوكى وبدأ يشعر بدموع محبوسة لعاصى هنا وتائب هناك، فأكمل قائلاً:

-أما بعدُ عبادَ الله، فإني أوصيكُم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وأحسِنوا يرحمكم الله، إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين، تقوى الله التي لا يقبلُ غيرها، فمن صَلّى قُلْ لَهُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِيْن ﴾ (المائدة ٥ : ٢٧)، ومن صام فقُلْ لَهُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِيْن ﴾، ومن قرأ القرآن فقُلْ لَهُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِيْن ﴾، ومن تكلَّم بالحديث أو الآيات أو كلام العلماء فقُلْ لَهُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِيْن ﴾، ومن خرج مجاهداً لأعداء الله حاملاً سيفَه يقاتلُ الكفَرَةَ الذين يصُدُّون عن سبيل الله، فقُلْ لَهُ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِيْن ﴾. في ذروة سِنامِ الإسلام وفي عَمودِه وجميع شؤونه﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِيْن ﴾، ورُبَّ قتيلٍ بين الصَّفَّينِ اللهُ أعلم بِنيَّتِه، ولقد قالت المرأة في غزوةٍ مع نبيكُم الصادق حبيب الخالق، وقد قُتِلَ ابنُها الشاب على أيدي الكفرةِ المشركين الصادِّينَ المُحارِبين لرسول الله - هنيئاً لهُ الجنة - أو - هنيئاً له الشهادة -، فالتفتَ إليها وقال

- وما يُدريكِ، لعلَّهُ كان يتكلّمُ فيما لا يعنيه ويبخلُ بما لا يُغنيه. - ألا إنّما يتقبل الله من المتقين. -

ودخل فى موضوع الخطبة وأشتدت النفوس حرارة، وارتفعت الروحانيات الايمانية، الشيخ حسن العطار معروف عنه بخطبه الحامية التى تجلد النفس الظالمة وتضىء القلب المظلم، أنهى الشيخ خطبته وهم بالصلاة بعد خطابة دامت ساعتان، غير مكترثاً بكبار السن ولا بسهو وسرحان البعض فى موضوع الخطبة نظراً لطول المدة.

أنهى صلاته، وتسابق الجمع لاخذ منه البركات والتسابق على السلام عليه، وكالعادة خرج أخر من خرج من المسجد، ذهب إلى محله، عطارة الشيخ حسن بجوار إحدى الصيدليات، افتتح المحل وأشغل صوت الشيخ المنشاوى باعلى مقدرة صوت للمسجل، وجلس أمام المحل مراقباً المارة.

الشيخ حسن العطار، رجل متدين يخشى الله ويدعوا فى خطبه دائماً إلى جهاد النفس والتقوى، قوى أمام الشيطان وحيله، لكنه ضعيف أمام النساء، يراقب من تحت ثوب التدين ارداف الفتيات وصدور السيدات، من يشك فى شيخ حارتنا.

متزوج من إمرأتان، ويريد الثالثة لكن المقدرة المالية وقفت عاجزة أمام تلبية رغباته، يأتى إليه مريديه قاصدين علاجاً من ألم ما، فيرقيه بالرقية الشرعية ويصف له الأعشاب ويزيد من براعته فى الطب البديل عندما يشاهد الصيدلية ممتلئة، فيدخل الصيدلية ويستمع إلى طلبات وشكاوى المرضى فيتدخل ويصف لهم العلاج البديل أفضل من العلاج الكيميائى من فعل الكفرة والملحدين.

لم يستطع الطبيب الصيدلى أن يمنعه من دخول الصيدلية او خطف الزبائن منه، فمريدين الشيخ كالكلاب المسعورة، إذا قال هذا كافر قطعوه، يستشهد من آيات القرآن والسنة ما يثبت حجته، إنه حقاً بارع فى مجال عمله.

فى إحدى الأيام تدخل عليه إحداهن لتبتاع منه إحدى الأعشاب لتقوية شعر الرأس، فأقنعها بأنها تحتاج إلى رقية شرعية نظراً لانه سقوط الشعر بفعل الحسد من إحداهن، وافقت المرأه على الرقية الشرعية وجلست على إحدى الكراسى، وضع الشيخ يده على رأسها، وبدأ فى تلاوة الآيات واليد الأخرى بدأت فى طريقها كالثعبان الذى يتسلل حتى لايستشعر به فريسته فيجد الفرصة المناسبة لينقض على فريسته، بدأت اليد فى عملها والتحسس على صدر المرأه وهى ملهية فى عالم الروحانيات نظراً لصوته الجميل العذب فى قراءة القرآن، لغى عقل المرأه أن احتمال ولو فى المليون أن شيخ حارتنا من يأخذ بأيدينا فى أمور ديننا يتحرش بها، حتى قاطعهما زوجته الثانية، فما أن رأت المنظر حتى أطلقت لسانها بصرخات مدوية انتزعت الشيخ من شهوته وأخرجت المرأة من روحانياتها، فأسرعت المرأة مغادرة وأسرع الشيخ كاتماً فم إمرأته خالعاً نعله ضارباً الزوجة ضرباً مبرحاً حتى تسكت.

ازدحم المحل بأناس يحاولون إنقاذ الزوجة المسكينة من الشيخ، وهو يردد -وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ- لم يحاول أهل الحارة أن يفهم من الزوجة ماحدث بل ذهبا لتهدئة الشيخ، محاولين امتصاص غضبه، وبدأت السيدات فى لوم الزوجة على عدم اطاعة زوجها الشيخ الجليل ولم يعطها فرصة لشرح مارأت، كان ما رأاه الرجال فى ذلك المشهد مبرراً لضرب النسوة على أفعال لا ترتقي أن تصل إلى مرحلة الأفعال، فقد بارك لهم الشيخ الجليل بالضرب بدون أن يصرحها بلسانه.

أغلق الطبيب الصيدلى صيدليته ورحل من حارتنا بعد أن أجبرته أفعال الشيخ الجليل فى الدخول إلى نفق الكساد المالى، وظلت الحارة معتمدة على عطارة حسن العطار فى العلاج.

بل ولم ينتهي عند ذلك الحد، أعلن بعد إحدى الصلوات عن فتح دار تحفيظ للقرآن للاطفال، بدل ذهابهم إلى الحضانات التى تغرز فيهم منذ الصغر التعليم الاجنبى الكافر، فانتفض أهل الحارة وأرسل ابنائهم وبناتهم لدار تحفيظ الشيخ مقابل مبلغ مالى زهيد، يستخدمه فقط لتطوير أعمال الدار فى الظاهر وللتحضير للزواجة الثالثة فى الخفاء.

أغلقت الحضانة ورحل مدرسيها عن الحارة، فسيطر الشيخ الجليل على الصحة والتعليم، وتزوج الشيخ من فتاة فى العشرينات من عمرها، وسط مباركة أهل الحارة المليئة بالشباب فى ثلث عمره ولم يستطيعا الزواج من واحدة، وازداد مريدين الشيخ وأتباعه حتى وصل إلى التلفاز وازدادت شعبيته أكثر وأكثر.

أراد بناء مسجداً كبيراً فى الحارة، بالرغم من وجود مسجد الحارة الكافى لسكانها، لكنه كان يردد ويقول

-إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ -

فتشدد همم الناس ويجمعون الأموال من قوتهم وقوت أولادهم ويشيدون مسجداً كبيراً أطلقا عليه مسجد العطار.

فى إحدى مرات الجماع مع الزوجة الحديثة، ارتفع ضغط الدم عند الشيخ الجليل أثر تناوله إحدى حبوب المقوية جنسياً حتى يستطيع أن يجارى من تصغره سنيناً، فاختنق ومسك بصدره ولم يستطع ان يكمل لذته وسقط من

فوق فرسته، ميتاً فى الحال.
صرخت الزوجة وأسرعت تصرخ فى المنزل تستنجد بأحدهم، فأسرعت إليها الزوجة الكبرى، فنهرتها وأسرعت بها إلى حيث يرقد الشيخ الجليل، استدعت كل من فى المنزل الزوجة الكبرى وحملت زوجها وألبسته رداءاً أبيضاً وعطرته بالمسك العربى، ووضعته علي وضع السجود فى مصلاه، بعدها أعلنت عن موته بصراخ كل من فى المنزل فى آن واحد، فأسرع من فى الحارة يدخل فيرى الشيخ ميتاً فى مصلاه ساجداً إلى خالقه.
بكت الحارة شيخنا هذا أربعين يوماً وقررا أن يجعلا من موقع مماته ضريحاً ليذكرهم به، فهو من أولياء الله الصالحين، وأخبرتهم زوجته الكبرى أنه جاءها فى المنام وولى ابنه مكانه فى إمامة الجامع وشياخة الحارة.

٥

الهارب

-الله أكبر الله أكبر-
يبدأ الاذان بها، وينتهى بها، ألم يشدك يوماً ان تبحث فى معنى تلك الكلمات القليلة العظيمة، الله أكبر معناها أن الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء في هذا الوجود، وأعظم وأجل وأعز وأعلى من كل ما يخطر بالبال أو يتصوره الخيال، فماذا اذا دخل العقل ذلك الفيروس اللعين الذى يبدأ ب -كيف- او -لماذا- ؟
كنت فى أحد الايام وأنا فى طفل صغير، أتسائل دوماً سؤال واحد، يأكل فى عقلى كالقارض يقرض لوح الخشب. . ماذا أنا؟
هل أنا تلك العين الذى أرى بها؟ هل أنا تلك اليد التى امسك بها؟ هل أنا ذلك العقل الذى افكر به؟ ام أنا القلب الذى ينبض بها الحياة؟
لم اتقبل فكرة اننى انسان كامل يتكون من جسد وروح، لعلنى كنت صغيراً وقتها ولم ينضج عقلى، ولعل التعليم لم يتطرق الى أن هناك طفلاً سيأتى يوما على باله هذا السؤال.
كبرت وبدأت النزعة الدينية تظهر لدى، تعلمت الصلوات الخمس وأحببتها، فأنا أتحدث الى الله خمس مرات فى اليوم، ادعوه فيستجب لى، كنت مواظباً على حضور الدروس فى المساجد حتى أستشعر أهلى خطراً على من تلك النزعة الدينية، فبدأوا يمنعونى فى الذهاب إلى درس تحفيظ القرآن فى المسجد بعد صلاة العصر.

يخشون على ابنه من التقرب الى الله وفهم أمور دينه وتنشأته على الدين الصحيح، حتى عندما يكبر ينضم الى فرسان كتيبة صلاح الدين المحررة للمسجد الأقصى، وفى إحدى الايام وجدت ابى يدخل على باحد الاجهزة الترفيهية الالكترونية تعويضاً على منعى من الذهاب الى درس تحفيظ القرآن.

كان ابى يخشى على من رواد المسجد ذو الفكر المتطرف فى رأيه، فلقد شهد ذلك المسجد احداث مؤسفة فى التسعينيات رآها والدى بأم عينيه، ذوى الجلباب الابيض ولذقون الطويلة يحتمون فى المسجد ويطلقون وابل من الرصاص على أجهزة الامن القادمة لاعتقالهم.

حاول ابى تعليمى الاسلام الوسطى فى نظره، والاعتدال فى عبادة وأن الاسلام دين الوسطية، لكن هناك أسس غرزت فى داخلى لم ولن تتغير، أنظر الى أصحاب الدين الاخر انهم كفاراً، أعداء لى وللاسلام، فكنا نتجنبهم فى المدرسة وننبذهم، يخبرنا شيخنا فى الجامع انهم يعبدوا صليباً مصنوع من الخشب، وانهم كفرة لايستحقون العيش وسطنا.

بدأ ارتباطى بالمسجد يكبر وتكونت عائلة أخرى ثانوية بل أصبحت عائلة أولية، والدى الشيخ طه، محفظى للقرآن ومعلمى فى أمور دينى ودنياى، بدأت فى ارتداء الجبلاب الابيض المقصرة مثله، أحلق ذقنى بالموس مستعجلاً إياها بالخروج لاصبح ملتحياً مثله، تعلقت به أخبرته عن عدم رضا ابى عن ما افعله، فكان يبتسم لى ويأمرنى بألا اقل لهم أُفٍ ولا أنهرهما.

حتى جاء يوم الحادى عشر من سبتمبر عام الفين وواحد، أكثر من ثلاثة ألاف انسان لقى حتفهم فى ذلك اليوم، وجدت ابى يتابع الاخبار بحزن شديد، ابى مدرس اللغة العربية بدأت الدموع تترقرق فى عينيه، عندما يرى

مشاهد المسعفين والدماء وإنهيار البرجين، ذهبت يومها الى الشيخ طه فى المسجد بعد صلاة العشاء أجلس معه، فوجدت وجهه مضيئاً والضحكة والابتسامة لاتفارق وجهه، أخبرته عن سر سعادته،

فقال - إن الله انزل على الكفار عذابه بيد من ايدى المجاهدين فى سبيل الله، الشيخ أسامة بن لادن-

من هو الشيخ أسامة بن لادن؟ لقد كنت فى المرحلة الاعدادية وقتها ولم أعلم وقتها من الاحداث الدامية والحروب الدينية سوى الصراع الاسرائيلى الفلسطيني، لم أكن أعى أن هناك مجاهدين فى الشيشان ولا أعلم أن هناك بلد تسمى افغانستان.

فى تلك الحقبة بدأنا ندخل فى عصر الكمبيوتر، دخل علينا ابى ذات مرة ومعه عدد من الكرتونات المغلفة، كانت تغمره السعادة وهو يوصل اجهاز الحاسب ويفتحه أمامنا، فكان جهاز الحاسب نقطة تحول أخرى لى، كان الشيخ طه يمدنى باسطوانات ترفع من همتى فى الدين وخطب ومواعظ وقصص الأبطال المجاهدين فى الشيشان.

ذات مرة أعطانى الشيخ طه اسطوانة بها فيديو يتحدث عن شاب سعودى تم فتح قبره بعد مماته فوجدا جسده أخضراً بالكامل وعيناه سائحتان فعل تعرضها للحرارة الشديدة، والأنف مقطوعة تماماً والشعر اشتعل بالشيب، ماجريمة هذا الشاب كانت الإجابة قادمة من الصوت المعلق على أحداث الفيديو مستدللاً بآيات القرآن، هذا الفتى كان يستمع إلى الاغانى واللهو.

رأى ابى الفيديو وبدأ يكتم غيظه أمامى، حتى أنفجر فى وجهى قائلاً:

-لقد اشتريته بنظام التقسيط الذى يقتطع من راتبى الثلث حتى تتعلم عليه وينكشغ مافى عقلك من غمامة، وانت مُصِر على الغوص فى التطرف

والجهل-
كان ابى عنيداً، بحاول مناقشتى فى أرائى وكان يغلبنى كل مرة، كنت أذهب الى الشيخ طه بحجته، فيبستم ويخبرنى بما يريح قلبى، ويغلب حجته بالاستدلال بالقرآن والسنة.
عندما التحقت بالجامعة كانت تلك الفترة فترة الاجتياح الصهيونى لقطاع غزة، وكانت الجامعة مشتعلة كل اطيافها فى مظاهرات عارمة غاضبة للعدوان، كنت أنا من أقود المظاهرات فى مجموعتى، وأقود المجموعات فى خطاباتى، حتى تم وضع إسمى بنجاح فى قوائم أمن الدولة، فكانت زيارتى الاسبوعية للجهات الامنية فرض واجب على، حتى اننى كنت اتوقع ميعاد الزيارة قبل تشريفى بإخبارى بها.
بعد أن وجدت الاعياء على وجه والدى، خفت أن أكون شقياً، فاعتزلت العمل الحركى، وأبتعدت عن السياسة وأكتفيت بالتفقه فى الدين حتى قامت الثورة.
لم أستطع منع نفسى فى الاشتراك فى ذلك الطوفان الهائج أمواجه، ساقط كل جدران نظام مستبد محمى خلف أسوار أمنية عالية، لكن الشيخ طه أخبرنى أن الخروج عن الحاكم حرام وان مايحدث ماهى الا فتنة من فعل العلمانيين.
كنت أتابع الاخبار بلهفة وشدة منتظراً كل ماهو جديد، متمنياً اذنا بنزول الميدان مع ابناء جيلى، لكن كان مايحدث فى الميدان بثير سخطى وقلقى أيضاً، الاختلاط والرقص واللهو والاغانى تبشر بظهور جيل جديد متحررة أفكاره محلقة عالية مرتفعة فوق أسوار الشيخ طه وأمثاله.
تم خلع الرئيس بنجاح، وأدى الشعب المصرى ما يجيده جيداً فى تلك الليلة

ألا وهو الرقص وإقامة الاحتفالات بنجاح، فى الحقيقة لقد فرحت أيضاً وذهبت الى الشيخ طه فى المسجد أسأله ما رأيه، أخبرنى انه حان دورنا وبدأت الحرب على الاسلام ولابد ان ندافع عنه نحن ونظهر الى السطح السياسى كهيئه سلفية.

بدأنا فى التحرك ونشر الفكر السلفى ومكافحة العلمانية حتى اندلعت الحرب فى سوريا، تلك الحرب التى كانت نقطة تحول فى حياتى، حيث انتهت دراستى فى الجامعة وأخذت إعفاء من التجنيد الاجبارى، وجدت نفسى أبحث فى سوق العمل عن رزق حلال لايشوبه حرمة تنجس ردائه الابيض.

كنت أجلس فى المسجد بدلا من المقاهى كحال كل من لم يجد عملاً، اتابع اعمال الدعوة السلفية وتجهيزات الحركة للانتخابات الرئاسية، حتى وجاء الشيخ طه يخبرنى بانبهار عن ابطال يضحون بحياتهم من أجل الحاق الهزيمة بالشيعة فى الاراضى السورية، شدنى الحديث وأخذت استفسر منه عن رأيه فى الجهاد فحدثنى بما يطيب قلبى حتى اوقع على سمعى عرض اللحاق بموكب المجاهدين.

لم أتردد فأنا مشروع شهيد من اجل ارفع راية الإسلام، لكن ماذا أخبر ابى؟ قررت ان أكذب ككذب سيدنا ابراهيم على اهله عندما اخبرهم ان من كسر الاصنام كبيرهم، ذهبت الى احدى مراكز الانترنت وكتبت احدى العروض الوظيفية من احدى الشركات السعودية، وقدمته لأبى،

فرح ابى فرحاً شديداً، وبارك لى وأخبرنى انه ينتظر تلك الحظة التى سأجد فيها عملاً فأرفع الحمل من على عاتقه شيئاً فشيئاً، حزمت حقائبى لكننى لم اتجه الى السعودية، سافرت الى جورجيا، حيث التأشيرة السياحية من

السهل الحصول عليها، ومنها تم تجميعنا فى مجموعات صغيرة فى ظرف اسبوع، تحركنا فى اتوبيسات من تلبيسى عاصمة جورجيا الى تركيا.
هناك تم تغيير المجموعات مرة أخرى فى ظرف اسبوع اخر وتم ترحيلنا الى سوريا برياً عن طريق الحدود التركية، كان الامر سلس بلا عقبات حتى وصلت معسكر المجاهدين فى منطقة يسيطرون عليها سيطرة تخلو من النظام السورى فى ريف دمشق.
استنشقت هواء الجهاد، ورفرفت أمامى الرايات السوداء، ها انا مجاهد فى سبيل الله، لكن أين الحرب؟ فأنا لست قوى البنيان وليس معى خبرة استخدام السلاح، تم تدريبى هناك فى احدى المعسكرات الداخلية لمدة شهر كامل وتزوجت اثنتان احداهما اجنبية.
كانت الحياة لى كأننى فى الجنة، على الصعيد الاخر علم ابى بانضمامى للمجاهدين من الجهات الامنية التى تفننت فى اذلال اهلى بشتى الطرق المشروعة والتضييق عليهم ووضعى فى قائمة الإرهاب.
جاءت الأوامر بترك معسكر التدريب والهجوم على احدى القرى المجاورة، كانت الهمة بداخلنا تكفى لغزو العالم كله، وكان الشحن الدينى على أخره، فمن وقع منا شهيد ومن وقع منهم كافر، اقتحمنا القرية بعد معركة دامت ثلاث ليال، فوجدت أبشع الجرائم الانسانية ترتكب فى حق المدنيين، إغتصاب وأخذ الفتيات سبايا، قتل الرجال وتعذيب الشيوخ، كل هذا وهناك مايغطيه من الدين بأحاديث وبراهن من القرآن.
تلك كانت أول معركة لى، لكنها كانت الاخيرة أيضاً، ذهبت الى الامير فأخبرته بأن مايحدث مخالف بما تعلمته، فشكك فى صحة ماتعلمته، فلما حاججته بدأت لهجته تتغير من مناقش الى مهدد، انتقل الخوف الى وفعلت كما

يفعلون. . إغتصبت، نعم إغتصبت فتاة فى السادسة عشر من عمرها، تناوب عليها قبلى أربعة رجال، فإن لم أفعل سأقتل، لكننى قررت الهرب.
الهروب لم يكن فكرى وحدى، فلقد وجدت فى المعسكر هناك الكثير من يفكر بالهروب بعد انكشاف حقيقة الامر أمام أعينهم، وفى احدى الايام اتفقت مع احدى الدوريات انه فى يوم خدمتنا السيارة سنهرب، وبالفعل هربنا من جحيم الموقع وخلعنا لباسنا العسكرى واندسسنا وسط قطيع يهرب من جحيم الحرب ولعنة الدم التى تشربتها الارض وانبتت رائحة الدم فى كل مكان.
عدت الى تركيا تلك المرة كلاجىء سورى أحمل جواز سفر سورى ومنها هاجرت الى السويد.
دخلت الى المطار هناك أخبرتهم اننى سورى اريد اللجوء، فلقد اتقنت اللكنة السورية وتحصلت على جواز سفر قبل خروجى من سوريا.
قابلنى أحد الضباط بابتسامة يخبرنى بألا اقلق لقد انتهت معاناتك ياأخى.
أنا أخوك، كيف! لا أعلم كيف، لكن استطيع ان اخبرك بما حدث لاحقاً، تم منحى اللجوء الانسانى فى السويد وتوفير سكن وراتباً شهرياً، بل تم علاجى نفسياً من أثار الحروب وإعادة هيكلتى للتعايش مرة أخرى مع المجتمع المسالم وكيفية انخراط وسطهم.
تزوجت من مغربية، لاجئة أخرى أيضاً، تقابلنا فى مكتب اللجوء، لا أعلم ماذا حدث لأبى وعائلتى، لكن حياتى تغيرت تماماً، أصبحت فجأة علمانياً!!
العن اليوم الذى رأيت فيه الشيخ طه، واليوم الذى ذهبت فيه الى الحرب برجلى، اتمنى رؤية امى ولو لمرة، لكن ماهون على ابنتى وزوجتى فى بلاد الغربة.

وفى احدى الايام، كان هناك مارثون للجرى لنشر السلام فى العالم، كنت اشارك فى المارثون وزوجتى وابنتى يقفان مع الجمهور يشجعان على طرفى الطريق، نظرت إليهم ابتسم وهما يلوحان بتشجيعى بلوحة تشجيعية مكتوب عليها -نحبك، عائلتك-.

قبل أن أصل خط النهاية سمعت أحدهم يصرخ بصوت عالى - الله أكبر الله أكبر- انقبض قلبى ونظرت إلى مصدر الصوت فلم أستطيع رؤيته منشدة الحرارة الخارجه من إنفجار القنبلة التى كان يحملها مصدر الصوت فى حقيبته.

وكأن القدر يحاسبنى، وكأن الزمن يأبى أن ينقضى قبل أن أدفع دينى، ماتت ابنتى وزوجتى، قرر الأطباء قطع الرجلين، فأصبحت قعيداً، غريباً، هارباً، يطاردنى فهمي الخطأ للدين وما دسه المجتمع بداخلى فأنبتت نبتة شيطانية قتلت وأغتصبت أبرياء.

٦

الإشــارة

نفخ دخان سيجارته مخرجا معها ضيقه من شدة حرارة اغسطس، منتظراً ان تفتح الاشاره ليعبر بسيارته قناة الهموم فى قلب المدينة العظيمة.
غلق الاشارة يصيب البعض بالتأفف، والبعض يجن جنونه من الانتظار لكن هناك من يبحث عن رزقه فى تلك العطلة المقننة، هناك من تجلس على الرصيف امامها قفص صغير مرصوص عليه علب المناديل كالبنيان المرصوص، وبجوارها طفله تبلغ من العمر سنتان،
طفلة جردت من رداء طفولتها، فتعرى جسدها واكتسب صلابة الرجال بفعل حرارة الشمس تميل الى امها ورد القادمة من احدى قرى الصعيد مع زوجها عبد المنعم وابنها على ابن العشر سنوات الى المدينة العظيمة.
يعمل عبد المنعم فى مجال الزراعة، فلم يكفيه رزق الزراعة فى اعانته امام غول الحياة وجراد الغلاء، فانتقل الى العاصمة طلبا لسعة الرزق، فعمل فواعلياً باليومية، نظراً لبنيانه الجيد المتميز به اهل القرى والعاملين فى الفلاحة والزراعة، فنجحت العاصمة فى تحويله الى مدمن خمور ونساء، فما ان وجد ان زوجته ورد لم تعد تشبع رغباته القى بها هى وطفلاها فى الشارع، وتزوج بمُسكناً لشهواته، ارملة صغيرة تسكن فى الشارع المقابل .
ورد تلك الفتاة التى تحولت الى إمرأه وهىَّ فى السادسة عشر من عمرها.
ما ان تفتحت الوردة حتى هجم عليها عبد المنعم فشرب رحيقها كله، فتاة ناصعة البياض، لكن غطى ذلك البياض طبقة من القشف بفعل الحياة

الصعبة فى الريف، وتربية ابناءها قضت على شبابها باكراً
القى بزوجته القديمة فى الشارع، ليحضر عش الزوجية الجديد لمراسم تتويج الملكة الجديدة، وجدت ورد نفسها فى الشارع وليس معها ما يعيدها الى بلدها، حتى وان رجعت ماذا تعمل هناك لتوفر متطلبات الحياة الضرورية لطفليها.
تعبت من السير والتفكير أيضاً، فأرتمت على اقرب رصيف، واذ شيئا فشيئا يغلبها النوم فتلقى بنفسها فى أحضانه، حتى ايقظها أمين الشرطة الواقف على الاشارة ما ان استيقظت حتى لملمت جسدها وابناءها تحاول ان تخبئهما فما ان احس سيد امين الشرطة خوفها قال
- لاتخافى مالذى اتى بك الى هنا هيئتك لاتدل على انك من المتسولين
ردت بلهجة صعيدية
-الزمن ياسعادة البيه هو من يتحكم بنا.
سيد، الرجل الامين صاحب السابعة والثلاثين عاماً. . ابيض الوجه، ممتلىء البطنة شيئاً قليلاً، صاحب الشنب الغليظ، صانع منحنياً حول شفته العليا، وأسفل الشفة السفلى مجموعة صغيرة من شعر الذقن تتجمع فى تجمع اشبه بالمثلث. يخاف الله، فيصلى جميع الفروض فى المسجد المجاور للاشارة، يعامل العساكر معه بأخوة وحنان. مايخالف الشرع ينبذه، صديقته الدائمة فى الحياة سبحة يمسكها بيديه اليمني.
قصت له قصتها مع عبد المنعم، ظناً منها انه أحد قيادات الداخلية الذين ينزلون ليلا لتفقد امور الرعية، وانه لديه السلطة لإنزال العقاب الفورى على ذلك الزوج الخائن للعشرة وللأدمية.
تأثر سيد بما سمع وقرر ان يساعدها فجلب لها مجموعة مختلفة من علب

المناديل واجلسها بجواره عند الإشارة، هيىء لها غرفة صغيرة تابعة للاشاره تستتر بها هى وأطفالها، بل وفرح عندما علم ان ابنها على يرتاد المدرسة، فكان المشهد اشبه بافلام السينما، على يذهب الى المدرسة متخفيا يخشى من ان يراه عبد المنعم فيضربه ثم يعود ويمسك بالفوطة الحمراء ويساعد امه فى الاشاره، اما ليلاً فكان يكتب واجباته على ضوء عامود النور، وفترات راحته القلائل يجلس مع سيد فيخبره بأن العظماء بداوا من اشارات المرور تلك فيزداد حماسة ورغبة فى الالتحاق بكلية الزراعة ليتخرج مهندساً زراعياً كالمهندس يحيى الذى طالما حكت له امه عن طيبته وشهرته فى القرية .

مرت الايام وكانت تمرعلى ورد تارة جميلة سريعة، وتارة تعيسة بطيئة أسعدها كانت عندما يعطى احدهم لعلى بقشيشاً عالياً، كذلك صاحب المرسيدس الذى ادمعت عيناه عندما رأى على الذى يشبه ابنه المتوفى بسبب مرض السرطان، فأعطى على مائة جنيه فاستطاعت تلك الورقة ان توفر لهما عشاءا بديلا عن الكشرى بل وعزما سيد والعسكريين الواقفين معه.

أسوئها عندما مر الظابط ورئاها فصاح فى وجه سيد ووبخه عن السماح لها بالوقوف فى الاشارة تلك لكن سيد ترجاه فوافق طالما تلك الاشارة خارج مسار الموكب،

وفى احدى الايام الباردة فى شهر يناير ظهرت نتيجة الترم الاول لعلى، وكان ذلك الترم على متوفقا على نفسه، امتلأت نتيجته بالنهائيات، ففرحت ورد وأطلقت العنان لفمها فألقى زغروطة سمع صداها فى جميع أركان الاشارة فرحاً ذلك اليوم حتى جاء سيد ووجهه ملىء بالسعادة فلقد تم تحويله الى مكان أفضل، فوقع الخبر على ورد كالصاعقة، مامصيرها بعد سيد؟ وجد

سيد فى عينيها قلق فطمأنها بأن من سيمسك مكانه هو زميل له وهو لايعرفه بل اضطر للكذب لطمأنتها.
انتظر سيد يوم التسليم وتعرف على أمين الشرطة البديل له عرابى، رجل أسمر الوجه، تظهر على خده الايمن حسنة سوداء كبيرة تخرج من سطح وجهه ببروز واحد سنتيمتر. ممتلىء البطن كأنه يحمل ثلاث معدات، كل معدة ممتلئة بوجبة دسمة من البط البلدى، أصلع من المنتصف يغطى صلعته بشعر الجانبين، أنيق فى زيه، ترى حذائه لامعاً دائماً.
مال عليه سيد وطلب منه ان يبقى على ورد وشرح له ظروفها فرحب عرابى بطلب سيد بدون نقاش حتى اثار دهشة سيد فى الموافقة السريعة.
بدأ عرابى يومه الاول مراقبا لحركات ورد بنظرات مكثفة متفحصة حتى بدات تشعر أسماء من الخوف منه
فى بادئ الامر كان يذهب إليها كل فترة للاطمئنان عليها، ويمسحها بنظراته من أعلى لأسفل، فكانت ورد المرتدية العباءة السوداء المهترأة تسير لعاب أمين الشرطة، وتهيج امواج الدم فى عروقه عندما تظهر احدى رجليها أمام أعينه.
حتى ظهرت نواياه الى السطح، وطلب من أسماء مايغضب الله ويرضى شهواته مقابل تركها تعمل فى الإشارة، فرفضت أسماء فقام بصفعها وجرها من شعرها حتى القسم وعمل لها محضر تسول وألقاها هى وطفلتها الصغيرة فى الحجز.
رجع على من المدرسة فوجده أحد العساكر فحكى له ماحدث ونصحه بالهروب حتى لايلقى مصير امه واخته.
أخذ على يجرى ويجرى حتى عاد الى بيته القديم فتحت له الباب زوجه

ابيه وعندما وجدته يبكى اخذته فى حضنها وهى لا تعرفه حيث أن الله لم يعطها نعمة الأطفال، فأدخلته الى داخل الشقة، تستمع الى حكايته فتشعر بشىء من الذنب فأحضرت له شيىء من الطعام ليأكله، وهو منهمك فى البكاء يسأل عن ابيه، فتخبره بالانتظار فهو دائم التأخر حتى منتصف الليل، حتى عاد أباه فى حالة سكر تامة .

رأاه عبد المنعم فحذفه بزجاجة الخمر القريبة منه، فتفاداها على واخذ يتسول له ان ينقذ امه الملقية فى الحجز لكن عبد المنعم لم يعره اهتماما وقام بسحب حزاما كان موضوعا بجواره وهم بضرب على حتى لحقته زوجته واخذت تدافع عن على وتخلصه من يديه وما ان فلت على من قبضة ابيه وهم بالهروب، وجد سكيناً موضوعاً على طاولة المطبخ، فعاد لابيه فوجده منهمكا فى ضرب زوجته عقابا لها فقام على وبكل ما اوتى بقوة بضرب ابيه بالسكين فى بطنه اسقطته ارضا فى الحال.

بدأت زوجته فى اللطم والخبط على صدرها واصدرت صراخاً وعويلاً راح اصدائه يتجلل فى كل انحاء الشقة الضيقة المتكونة من غرفة وحمام ومطبخ.

هرب على وأخذ يقطع الشوارع والطرقات حتى وقف على صوت ينادى عليه، فالتفت فوجد امين شرطة واقف فى لجنة، فأعتقد أن الشرطة تبحث عنه فأخذ يهرب ويهرب حتى وصل الى محطة مصر وركب القطار المتجه الى الأسكندرية.

مر يومان وعلى ينتقل من مكان الى آخر وينام فى الطرقات وعلى الارصفة حتى فى احدى الليالى الباردة تسلل على الى احدى المراكب والتف باحدى البطانيات القديمات واستسلم للنوم.

استيقظ على بعدما ظهر فى حلمه ان من كان يناديه يومها هو سيد أمين

الشرطة، فقرر ان يعود للقاهرة فربما يكون سيد أنقذ أمه وأخته وكان يبحث عنه لكن كان الوقت قد فات لقد كان المركب فى وسط البحر.
كانت إحدى مراكب الهجرة إلى أوروبا.
بعد مرور خمسة وعشرون عاماً.
نفخ دخان سيجارته مخرجاً معها ضيقه من شدة حرارة أغسطس منتظر أن تفتح الإشاره ليعبر بسيارته قناة الهموم فى قلب المدينة العظيمة، لكن هذه المرة كان على هو من يعبر القناة وأخته هى من تعوم فى تلك القناة.

٧

يطلق مفهوم المجتمع على مجموع الأفراد، القاطنين في رقعة جغرافية محددة، والذين تجمع بينهم روابط معينة، تثبتها قواعد وضوابط ومؤسسات اجتماعية، ويكفلها القانون.

لا يستطيع الفرد، داخل المجتمع أن يخالف القواعد العامة للتعايش المشترك، أو ينحرف عنها، لأنه إن فعل ذلك، يعرض نفسه للعقاب، أو السخط أو اللوم، وهكذا تمارس القواعد الاجتماعية سلطة على الأفراد تتجلى في القواعد الإلزامية المفروضة عليهم، وتسمى هذه السلطة بالقهر الاجتماعي.

لكننى أعرف المجتمع هنا بأنه يلعب دور الشيطان الأعظم، بوضع قواعده وقوانينه وإن كانت خاطئة فهى إلزامية، ألزمتنا بجرائم بشرية على مر العصور.
المجتمع هو رجل قاسِ القلب، جلس فى إحدى الأيام كاتباً عاداته على هيئة قانون يسيرعلى سكانه، ملزماً إياهم ألا يخالفوه.

القصة الاخيرة

الحِكمة أين نجدها !!!!

١

الذبابة

يوم طويل يبدأ من الاستيقاظ فى تمام الساعة السابعة صباحاً مروراً بذهابى الى الكلية ليبدأ يومى بمحاضرة الدكتور فلان ذلك الكائن الغريب الذى كان يلتهم فى صغره الكتب فأصبح أستاذاً ونسى ماكان يحدث به وهو طالباً، وينتهى يومى الدراسى الحافل بمرورى بعلان معيد مادة دكتور فلان لايختلف كثيراً عن أستاذه، يالله أعتقد أن هناك مادة ما يشربها الطالب لكى يتحول الى معيداً ثم دكتوراً إلخ إلخ. . . .

أرجع الى منزلى ارتمى فى غرفتى، اشعر برغبة قاتلة فى النوم، لكن فضولى يمنعنى ويشدنى الى فتح الانترنت والتسجيل على الفيس بوك لاعرف ماهو جديد فى الحياة، ولأضع كما من البوستات أصف فيهم معاناتى وأحياناً بل معظماً اقتبس البوستات من صفحات او اشخاص لا أعرفهم.

يواسينى من يواسينى من أصدقائى ويلعننى من يلعننى فى كل تلك الاطوار فى يومى هذا تصاحبنى ذبابة . . . . نعم ذبابة واحدة فقط تقف مرة على انفى الطويل لارى جمال جناحيها وتدخل الى أذنى مرة بل وتختبىء بين رموشى.

ماهذه الوقاحة!! مافائدة المخلوق هذا . . . . . اليوم السيىء اكتمل بها، فهى الآن تقف على شاشة حاسوبى مستعرضة مفاتنها كعارضة أزياء جميلة تقنع مشاهديها بان جمالها بارز من ازيائها.

لا لا لا لن اسكت هذه المرة لم أستطع تغيير الدكتور او معيده لكنى ساقدر على الذبابة.
أسرعت متجهاً الى المطبخ محضراً كوباً زجاجياً، قمت بطلائه عسلاً وأغلقت نور الغرفة، ووضعت الكوب بجوار هاتفى مشغلاً به خاصية الكشاف، فاذا أرى فى وسط الظلام الدامس قدوم الذبابة كطائرة اباتشى . . .
تتجه نحو ضوء الكشاف يشدها رائحة العسل، تدخل الكوب أسرعت مقلبه على رأسه وآسرت به الذبابة، شعرت بطعم الانتصار فى ذلك اليوم المنكوب، فاضأت نور الغرفة ورقصت رقصات بهلوانية معقدة حركاتها، ونظرت الى الذبابة فاذا بها مبتسمة بسخرية فقلت لها
- يالك من مخلوق عديم الفائدة اتسخرى من انتصارى عليكى بتلك الابتسامة
فقالت لى
-بمرافقتى لك من بداية ذلك اليوم اكتشفت أنك غبى،
فقلت لها ساخراً
- كيف وقد أعطانى الله نعمة العقل يابعوضة، أنا خلقت لكى أعبد الله وأعمر فى كونه مافائدتك انتِ؟
نظرت الىَّ باستخفاف وكإنها منتظرة كلامى هذا ثم قالت
- ليس ذنبى انك لم تتوصل بعد الى فائدتى فلقد قال ربك فى كتابه -افلا يعقلون-. فانت ياهذا لا تستحق لقب انسان تستيقظ من نومك تؤدى صلاتك كمن يؤدى دين او واجب عليه، كأنك تفعل شيئاً مكروهاً، وتذهب الى دراستك وانت تلعنها مع إنها كانت من أحلامك يوما ما بل وكانت بالنسبة لك الغاية فاين -الحمد لله-!!

لاتطيق أُستاذك لانه أعطاك حقوقك ويطالبك بواجباتك وبعد ذلك تشكو من سوء التعليم بل وأكثر من ذلك تضع مبررات لنفسك وتصدقها.
انت انسان مغرور، ألا تعلم انى أرافقك باحثاً عن طعاماً لى ليس من أجل جمال عيونك، وأنا أعلم أنك فى أى لحظة ستترك العنان لبطش يديك او تنصب لى فخاً كهذا من الأفضل الآن أخبرنى
فكرت فيما قالته تلك الذبابة فوجدته صحيحا فانا اصلى الفروض الخمسة اربعة او ثلاثة وأحياناً أعطى لنفسى إجازة.
لم أقل يوماً الحمد لله على نعمه بل أطالب بالمزيد بدون شكر لنعمه.
أكره من أستاذى الاستطالة فى الشرح وطلباته الكثيرة من مذاكرة او بحث يطلبه او حتى حل لمسالة وأرجع اشتكى من سوء التعليم.
كيف لى أن أفرح بانتصارى على أضعف المخلوقات!
تأثرت بكلامها ولُمت نفسى على أفعالى، وقررت أن أحرر تلك الذبابة من أسرها.
حلقت الذبابة مبتعدة عنى ثم اقتربت من وجهى ظننت إنها ستلقى على القبل وانتظرت منها شكراً
لكنها وصلت الى أذنى وقالت
-يالك من مغفل، أتأمن مكر عدوك -
فقلت
- حقاً إنك ذبابة -

٢

مدينة الموت

فى إحدى أيام اغسطس الحارة خرجت قاصداً التنزه مع زوجتى تاركاً السيارة على بعد خطوات من خط سير طريقنا، أمسكت يديها وضممت اصابعها بلطف، كم أعشق تلك المخلوقة واعتبرها هبة من الرحمن لعبد ضال فى دنياه.

لم تدم ابتسامتى كثيراً حيث باغتنى فجأة حجراً كسر زجاج مخى ذلك الالم البغيض الذى زارنى مرتان هذا الاسبوع لكنه تلك المرة يضرب بكامل قوته ضربة جعلتنى أفترش الارض مغلقاً عيناى على ذهول زوجتى،

أفتحت عيناى مجتهداً فى رفع ذلك الحمل على جفونى وأثناء تكرار المحاولات أسرقت عدسات نظرى لقطات سريعة محيطة بما حولى أين أنا؟

أنا فى مستشفى السلام، لطالما كرهت ارتباط هذا الاسم بالمستشفى لان كل روادها لايشعرون بالسلام والا لما قصدوها، وجدت من حولى أهلى وعشيرتى مجتمعين يصيبونى بسهام الشفقة والتشفى أيضاً تجاهلت الكل وبحثت عليها فلم أجدها.

جاء الى الطبيب يخبرنى بأنى سابقى لمدة أسبوع كاملاً معه فى مستشفاه الاستثمارى هذا فيزداد غناءاً وازداد مرضاً، فاخرجت كل من بالغرفة روجوته باخبارى مايعرف فقال من الافضل ان تعرف الحقيقة لم يتبقى من وقتك سوى القليل، ستتوقف ساعتك مع توقف وظائف مخك، وقع على الخبر كالصاعقة فأنا من تمنى الموت طوال العمر يأتى لى الآن بعد أن

تذوقت طعم الحياة بلسان زوجتى ورأيت ردائها الجميل بعيون ابنتى.
الآن لقد حاولت مراراً أن أتى إليك وباءت كل محاولاتى بالفشل من القفز من أعلى الثالث، او شرب ماهو مسموماً، حتى انتهى بى الحال بايداعى سنة كاملة فى مستشفى للامراض النفسية، وهناك وجدتها، زوجتى كانت احدى الطبيبات التى فتحت لى ستائر الحياة وآرتنى جمالها.
ماهذا كله ألا خطة محكمة من القدر لإذلالى، يعطنى الأمل ثم يسترده مرة أخرى بعد أن تذوقت حلاوته، مابقى لى الآن الا تذوق مرارة ماكنت اطلبه، وهل ساقدرعلى الانتظار ورؤية كل يوم من أحبهم ينتظرون مغادرتى،
لا . . . لن أقدر سأذهب إليه وسأرى لما كل هذا، سأتجول فى عالمه بإرادتى.
خرجت من المستشفى قاصداً السيارة سائقاً بأأقصى مافيها من سرعة حتى أسقطتها من فوق الكوبرى. .
مضى على فقدى للوعى وقتاً ليس بقليلاً، بل لم يمضى وقتاً، ولكنى تلك المرة لا أشعر بالم ماشعرت به اثناء السقوط، أنظر حولى فاجد مكاناً لم يتغير سوى إحمرار يغطى على الكون بأكمله، سيارتى هناك محطمة بل ماهذا!
هذه يد تتدلى منها بها، ساعتى فنظرت إلى يدى فوجدتها قد قطعت.
حاولت النهوض لامسك بيدى المقطوعة لكن قدماى قد فقدا خاصيتهما فبدأت أحبوا كالطفل الصغير حتى وصلت غايتى نظرت فى ساعتى فوجدتها متوقفة عن العمل.
أين أنا ؟؟؟
وجدت رجلاً بطولى بقترب الى وتقترب معه ملامحه أنه يشبهنى لا فانا لست باسودا.
قال لى (آمستعد)

لم أعطه جواباً بل أمسكنى من قدماى وقيدها فى سلسلة غليظة شدها من طرفها الاخر فسحبنى خلفه
الارض من تحتى ساخنة تكاد تحترق يسقط على وجهى شظايا تسقط من الرجل الاسود الذى تقنص دور مرشدى فى تلك الرحلة الغريبة رأيت فى جولتى تلك أناساً سوداء وجوههم تتطاير منهم شظايا كثيرة بجرون خلفهم أناساً يشبهوهم عدا تلك البشرة السوداء
أيقنت حينها أننا قد متنا.
(آأنا ميت) سألته فلم يجبنى.
أخذ يجرنى الى المجهول حتى بدأ الاحمرار من حولى فى الزوال، والسخونة من تحتى بدأت فى الانخفاض، أعتقدت وقتها أن الاسوء قد ذهب، حتى رأيت تداخل اللون الاسود، وبدأ الوضع من حولى يغوص فى بحر من الظلمات والارض من تحتى إنخفضت درجة حرارتها الى ماتحت الصفر.
بدأت أسمع صراخ من دخل معى تلك المرحلة عندما وقف مرشدى فجأه، وأسمعنا باصوات من توقف قبلنا، تحمد خالقها على تجنب مادخلنا به فقال لى:
(آامستعد)
وبدأ فى جرى مرة أخرى، ولسعة الثلج من تحتى وضيق الظلمات من حولى حتى بدأت فى الصراخ بلا جدوى. وقفنا مرة أخرى فاذا بالظلام ينجلى ويتحول ماحولى الى اللون الرمادى الشاحب نظر الى شبيهى الاسود وقال (آامستعد) فقلت له لا أنا لستُ مستعد
لكنه لم يهتم بإجابتى بل القى بى فى حفرة، ظللت أهوى وأهوى وأهوى حتى ظننت إنها حفرة بلا قاع.

وصلت الى قاعها فكان بحراً من الثعابين بدأ فى لدغى، لم يترك بوصة فى جسدى ولم يلدغها، حتى أعتدت على ألم لدغه لكنه كان يباغتنى من حين لاخر بلدغة أشد الماً لا أعرف كم لبثت فى تلك الحفرة فالوقت ليس له معنى طالما ليس له نهاية.

النهاية... طالما طلبتها وسعيت إليها، عندما تم الموافقة على طلبى وإعطائى مزيداً من الوقت لاغفر عن خطاياى وأصلح ماكسرته تكبرت وأبيت وقلت الآن وإلا لا.

أيقنت بعد فوات الأوان أن كل مايحدث مدبر بحكمة بالغة، وأن لكل مايحدث أيضاً طريقان ليس له ثالث اما الصواب او الخطأ.

بدأت الثعابين تنكشح لتكشف لى طبقة من الديدان الحقيرة التى مارأتنى حتى تسارعت للدخول الى أنفى وفمى وأذنى وأى مدخل الى جسدى او ماتبقى منه، فعلوا باعضائى الداخلية مايفعله الجراد بالاخضر، عدا قلبى وعقلى، فقلبى أخرجوه ووضعوه بين أصابع يدى الوحيدة وعقلى تركوه ولم يمسسه أى ضرر.

أمسكت بيدى قلبى فكان أسودا خالصاً فعصرته فاذا باللون الاسود يزول وهلة ثم يعود القلب قى الامتلاء بالاسود مرة أخرى.

بدأت الديدان فى التكاثر من حولى بعد وجبة أعضائى الدسمة، وبدأوا فى الزيادة حتى دفعونى خارج الحفرة كدفع الأمواج، رأيت من بعيد فى الجو الرمادى الشاحب أربع كرات تقترب منى معلقة فى الهواء ككشافات السيارات لكنها أصغر حجماً، ماكانت تلك الكرات إلا اعين لكلبان أجربان، اقتربا منى وبدأ فى تقطيع ماتبقى من جسدى بشراسة وأنا ممسك بقلبى حريص عليه، حتى انتهوا وانتهيت معهم فلم يتبقى منى إلا قلبى ملقى

على الارض أمسكه شبيهى الاسود وقال له:
(آامستعد)
ثم ألقى به كالكرة فى الافاق عابراً كل ما عبرته فى رحلة الذهاب، حتى وقع فى صدرى وأرجع معه النبض مرة أخرى بعد محاولات يائسة من الاطباء فى إعادتى للحياة عن طريق الشحنات الكهربية.
أفتح الطبيب عينانى بأصابعه وصوب نحوهما كشافاً صغيراً ثم صفعنى ألماً خفيفاً فشعرت به ونظرت صوبه فقال (حمدالله على السلامة)
لم أمت بل كنت فى غيبوبة بعد أن سقطت وأنا سائر مع زوجتى.
لم أمت بل هناك فرصة لتصحيح المسار.
لم أمت لايهم ماتبقى لى من وقت، مايهمنى هو كيف أوظفه فى طريقه الصحيح.
لم أمت بل كنت فى زيارة لمدينة الموت.

٣

الشيطان أنا

يحكى أن من قديم الأزمان أن الشيطان يغوى الانسان ليبعده عن طريق الهدى لكن فى أيامنا تلك تحول الوضع تماماً فأصبح الشيطان عاطلاً بدون عمل حيث أثبتت الدراسات التى أجرتها إحدى جمعيات حقوق الشيطان أن نسبة العاطلين قد وصلت إلى ٣٠ ٪ من الشياطين وأن ١٠٪ يموت غرقاً فى البحر من جراء الهجرة الغير الشرعية

ولحل مشكلة البطالة فى دولة الشياطين العظمى قرر ابليس اللعين تعيين على كل انسان زوج من الشيطان شيطان مبتدىء والأخر ذو خبرة.

سهر شيطاننا سعفان يراجع ويحفظ كل حيله الابليسية حيث غداً سيبدأ يومه الاول فى عمله كشيطان مبتدىء استيقظ مبكراً يشكوا من مغص خفيف ألمه من القلق

تم توزيعه مع الشيطان زغلول ولما سأل عن مكانه أخبروه على مكان عمله حتى أهتدى إليه فوجده جالساً على القهوة بل أن وصدقنا فى وصفنا كان نائماً.

نظر زغلول فى ساعته فوجدها الثامنة صباحاً عندما أيقظه سعفان فقال متتاوباً

- من انت؟

-أنا سعفان الشيطان المبتدىء

-آه. . . . ولما أتيت مبكراً؟

فاستغرب سعفان من هذا السؤال فهو يحفظ قانون العمل جيداً ويعلم بأن العمل من السابعة ونصف صباحاً الى العاشرة ليلاً فسخر منه زغلول عندما سمعه يخبره بأن قانون العمل يقول وقال له:

-أن الحياة الاكاديمية تختلف عن الحياة العملية، إجلس الله لا يهديك أخى العزيز.

وما أن جلس سعفان فانتظر قليلاً ثم انتظر قليلاً ثم أضاف قليلاً ليتحول إلى كثيراً فأعلى صوته حتى ييقظ زغلول

-أليس من المفروض أن نجلس بجواره حتى الاستيقاظ ونمنعه من الصلاة؟

فرد عليه زغلول :

-يا ابليس اللعين، ارحمنى يا ابنى إنه أول يوم عمل لك انتظر وسترى.

قاطع كلام زغلول صوت أشبه بالانذار من ساعة يديه الرولكس فنظر إلى سعفان

-هيا بنا، لقد استيقظ عبد المجيد

عبد المجيد هدفنا ماهو إلا طالب فى كلية الدرسات الاسلامية جامعة الأزهر وأصدقاءه ينادونه بعبده

استيقظ من نومه داعكاً فى راسه كالكلب الأجرب يخرج إلى البلكونة بعد أن ألقى على وجهه جزيئات من المياه يخرج سيجارة متلفتاً ألا يراه أحداً يشعلها ليتراقص دخإنها فى الهواء ما أن شممه سعفان حتى صرخ وقال:

-هذه ليست سيجارة طبيعية إنها . . . إنها حشيش انت عبقرى ياعم زغلول كيف أقنعته

نظر إليه زغلول ساخراً

-أقنعته . . . . . من الذى حدفك على؟

أنهى عبده سيجارته الملتهبة وألتقت ملابسه المرتمية على سرير صديقه النائم فى غيبوبة وترك له ورقة محتواها (سأرتدى الفانلة الخضراء يابن القحبة)

نظر مستغرباً سعفان من هيئة زغلول وأحوال عبده هل زغلول عبقرى الى هذه الدرجة ليجعل من عبده ألة لصنع المعصيات اتوماتيكيا . . . . . .

لا ففى الدرس ٥٦ من السنة الرابعة أن الانسان يحتوى بجوار كبده على مايسمى بالضمير وأن من الصعب قتله اوتخديره إلا لمدة معينة وإنه إن فاق ضميره هدم كل ما بنيناه حقاً ضمير الانسان خطر يهدد حياتنا.

نزل عبده من الشقة المفروشة التى تحتضن ٤ من الطلاب التائهين فى المحروسة طلبا للعلم ظاهراً استكمالاً للروتين الطبيعى لحياتهم باطناً بين منزله وأقرب محطة مترو قرابة ٤دقائق سيراً على الاقدام استطاع عبده أن يجذب انتباه سعفان الذى أخرج من حقيبته دفتراً وأخذ يسجل مايحدث منبهراً

حيث كتب فى دفتره -أربع دقائق رقم قياسى حققه الهدف فى ارتكاب ما يقترب من كذا معصية حيث بدأ الهدف بمسح شامل للطريق من أسفل نظارته الشمسية السوداء التى تغطى نصف وجهه لصعوبة التعرف عليه ولا تستطيع أن ترى ماتراه -

أنهى سعفان كتابه ملاحظاته حيث وجدا أنفسهما فى أنبوب معجون ضيق يبدأ صاحبه فى عصره لخروج المعجون منه ماكان هذا سوى عربة من عربات المترو إحدى أهم المشاريع القومية فى عالم الإنس.

-متى سنعمل ياعم زغلول؟

وجه سعفان سؤاله فاستفز به وجه زغلول الذى بدأ ظهور شعيرات بيضاء

حول قرونه أعلى رأسه دليل على تقدم سنه وعلى إنعدام قدرته على تحمل شريكه الجديد

-ومالذى يمنعك من العمل؟!!

ما أن سمع سعفان هذا حتى سارع بإخراج ورقة صغيرة قرأها فى أقل من فيمتو ثانية ثم توجه إلى عبده الذى كان جالساً على إحدى مقاعد العربة وأقترب من أذنه وقال:

-هل ترى تلك الفتاة التى أمامك قم فسر بجوارها وأصطدم بها متعللاً الزحام

قام عبده مسرعاً ما أن وقع نظره على الفتاة ثم ذهب نحوها وأصرأن تجلس مكانه ولم يستسلم حتى أجلسها ثم لاحظ كتاب ما كان قد قرأه فى أشواط عمره فسألها عليها ثم تبادلا الحديث وفى أقل من محطتين تم استبدال أرقام الهاتف النقال أيضاً

-ماهذا ما. . . أنا لم أقل له أن يفعل هذا؟!!!!

أخذ سعفان يتمتم بتلك الكلمات بعد أن استطاع رفع فكه الأسفل لاغلاق ورشة فمه من الدهشة

بعد القليل من الساعات والكثير من الذنوب التى ارتكبها الهدف وقف سعفان قائلاً:

-لا لا اما أن تعطينى سرك او أرفع شكوى شيطانية أخبرهم بها بسرك هذا

-سر! أى سر تتحدث عنه؟!

-عم زغلول؟ كيف جعلته هكذا ؟!!!

-هههههههههههه هذ الطبيعى يابنى انت لم ترى أيام الخميس والجمعة والسبت

-وماذا يحدث بتلك الأيام؟؟!!
- رزق كتيير لا يعد، كل هذا بدون ذرة مجهود منى
-هذا مايحيرنى عم زغلول هيئتك تدل على أنك شيطان فرز رابع أن وجد لكن مارأيته اليوم لن يستطع عمله ابليس نفسه
-يابنى الانسان يهزم ابليس، ألم يخبرك أحدهم وانت فى مراكز التعليم الابتدائية إن لم تلتزم الصمت والادب سيرسلوك لانسيا يحرقك؟
-هذا صحيح لكن هذا ليس بانسان هذا ليس بانسان أنا مستقيل ياعم سعفان بل أنا سأنتحر لكن كيف أنتحر؟! كيف أنتحر؟!!
-الامر سهل، انتظر فصاحبنا بعد كل هذا يذهب الى الصلاة فيأم المسجد لصوته الحلو العذب سيقرأ الفاتحة فى صلاة المغرب لا تأخذ استراحتك وأستمع له ستحترق,